أبو لبابة حسين

التربية في السنة النبوية

منشورات
دار اللواء للنشر والتوزيع
الرياض

أبو لبابة حسين

التربية في السنة النبوية

منشورات
دار اللواء
الرياض

التربية في السنة النبوية (1)

(1) انجز هذا البحث ضمن اعمال قسم الدراسات الاسلامية لسنة ٧٦ ـ ١٩٧٧ بمركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية ـ الجامعة التونسية وقد رخّص المركز بنشر هذا البحث .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تقول العرب : ربيته تربية بمعنى غذوته [1] . فمن معاني التربية في اللغة التغذية اي توفير حاجات الانسان من الطعام والشراب حتى يكتمل جسمه ويتمتع بالصحة والعافية ويتمكن من السعي في الارض ينبشها ويستدر خيراتها ويكتشف مجاهلها فيستخرج كنوزها التي لا تحصى عدا . ثم استعيرت عبارة التربية للتعبير عن تغذية العقل والاحساس والروح والوجدان ، وهي معان تجعل من الانسان كائنا متميزا له تقاليده واصوله المرعية التي تقوم على الذوق السليم الذي يترجم رفعة الانسان وسموه عن سائر الحيوانات ، وله نظمه وقيمه التي تحقق له معنى التحضر وتبعد به عن البدائية الاولية .

وحفاظا على هذه المعاني الرفيعة وحفظا لما تحققه من مكاسب تعد سمات بارزة للحضارة البشرية عرّف بعضهم

---

(١) القاموس المحيط ٤/٣٣٤ (ط ٢ ـ مصطفى الحلبي ١٣٧١هـ) .

التربية بقوله : هي : (عبارة عن نقـــل الحضارة من جيل الى جيل ، حتى يظـــل الانسان في المستوى الرفيع الذي وصل اليه ، ويتمثـــل هذا المستوى في الآداب والعلـــوم والفنون والصناعات) [1] .

ونظرا لما تؤهله التربية من عادات ونظم تلوّن حياة المجتمـــع وتحفظ توازنه وتقدمـــه قال عنها بعضهم بأنها (نظام اجتماعي ينبع من نظام كل أمة) .

واذا كان الاسلام قد اقام نظامه الاجتماعي على قيم تربوية اخلاقية حتى تكاد مهمة الرسالة المحمدية تنحصر في تحقيقها ، يفسر هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (بُعثت لأتمم مكارم الاخـــلاق) [2] . فان الحضارات السالفة والتي ازدهرت قبل ظهور الاسلام عرفت اهتماما بالتربية وعاشت نظما تربوية حيي عليها الناس ردها طويلا من الزمن ، وانتظمت في ظلها حياة بعضهم وشقي بها الجم الغفير منهم .

فالصين والهند وفارس وبلاد ما بين النهرين ومصر واليونان ، وكل البلاد التي قامت فيها حضارات ، عرفت

---

(١) التربية في الاسلام ١٧ (ط ٢ ــ دار المعارف بمصر ١٩٧٥م) .

(٢) النهاية في غريب الحـــديث ٧٠/٢ (ط ١ ــ عيسى الحلبي ١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٣م) .

لونا من التربية طبعت حياتها بطابع متميز يعكس فلسفة كل امة من تلك الامم .

وجاء الاسلام ليقيم على انقاض تلك الفلسفات جميعا نظاما تربويا مميزا يحقق للانسان التوازن الفعال في حياته ، فيعيش متى اتبع تشاريعه ونظمه حياة سوية لا ارتباك فيها ولا هزات مدمرة للجوانب الفكرية والعاطفية فيه .

وكان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو المربي الاول الذي قام بهذه المهمة الخطيرة منذ اللحظة التي (تنزّل فيها الوحي فأضاء روحه الصافية ، وأضاء وجه الأرض كله كما لم يضيء قط)[1] ، فقد أدرك عليه السلام بتوجيه من ربه أهمية التربية وأثرها البالغ في تكوين أمة اسلامية قوية وخيرة ، فوجه الانظار نحوها . وكان القرآن والسنّة هما لحمة وسدى البناء التربوي الاسلامي الذي طبّقه الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته ، وعاشه الخلفاء الراشدون وغيرهم من الخلفاء والامراء الصالحين .

وكان عليه الصلاة والسلام يتبع منهج الاسوة

---

(١) منهج التربية الاسلامية ٢٣ (ط ٢ ـ دار دمشق) .

الحسنة والقدوة الكريمة ، فكان المثل الاعلى في التربية والتعليم والتوجيه والارشاد ، وفي سلوكه كمعلم وقائد وقاض وزوج وصديق ... وقد أشاد القرآن بخصاله وفضائله وكريم أخلاقه فقال عز وجل (وانك لعلى خلق عظيم) [1] ، وكيف لا يكون كذلك وخُلقُه القرآن كما جاء في حديث عائشة يرضى برضاه ويسخط بسخطه .

وحتى ينتفع المؤمنون من اخلاق الرسول وعلمه وتوجيهه حرّضهم القرآن على ان يتخذوه أسوتهم ومثلهم الأكمل ، فقال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) [2] .

وحين حاول النصارى ان يتفصوا من اتباع الهدى المحمدي مدعين انهم احباء الله وليسوا في حاجة لاتباع غيره ، فضح القرآن زيفهم وبيَّن لهم المهيع الرشيد ودعاهم لمحبة رسول الله اذ لا خلاص لهم الا باتباعه فهو صاحب الرسالة الخاتمة ، وهو المثل الاعلى الواجب الاتباع ، وسد امامهم كل سبل الضلال وسلط الضوء على

---

(١) سورة القلم ٤ .
(٢) سورة الاحزاب ٢١ .

السبيل المستقيم المخلص ودعاهم الى سلوكه : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (١) .

وهي دعوة ملزمة لكل من يعمد الى الانحراف عن التوجيه المحمدي متسنما فلسفات وضعية ما يزال ملايين البشر يصلون نار جحيمها ويشقون انحرافاتها وتقديراتها الخاطئة كما هي ملزمة لكل من يحاول ان يتستر وراء ما يُعرف بالضمير الذي تحاول الاتجاهات الالحادية احلاله محل الايمان او يتستر وراء صولة العلم وعزة وعبقرية العقل البشري، وصولا الى الانسلاخ عن تكاليف الاسلام وبنائه التربوي المتكامل والتحرر من قيوده الاخلاقية التي تكبح جماح النفس الامارة وتهذب الغرائز البشرية المشبوبة .

فمهما تقدم بالانسانية الزمن ومهما علا شأنها في مجال الكشوفات والاختراعات وتقدم العلوم ، فان اتباع الرسول ﷺ والتزام أوامره ونواهيه والتحلي والسعي لتطبيق منهجه في الحياة يبقى امرا ملزما للجميع ، فكل الناس مطالبون بالاقتداء به ، فجميع اقواله وافعاله واقراراته سنّة واجبة الاتباع ، وكل ما خالف ذلك مما

(١) سورة آل عمران ٣١ .

يخل بروح الاسلام او ينتهي الى ابطال حد من حدوده او تشويه ركن من اركانه او تزييف خلق من اخلاقه فهو بدعة يوجب الاسلام مقاومتها وابطالها حفاظا على سلامة المجتمع من الشبه المخربة لبنائه والتصورات المنافية لتصوراته المستمدة من القرآن والسنّة الشريفة .

وقد وعد الله الذين يستمعون الى الهدي النبوي ويعونه ويتمثلونه ويطبقونه فيتعلقون بخالقهم ويتقربون اليه بالفضائل والاعمال الصالحة حبا الله وتقوى وصلاحا، وعدهم بمدد منه سديد حيث يصبح حواسهم وجوارحهم التي يعون ويسعون بها لجلب الخير ودفع الشر :

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب الي عبدي بشيء أحب الي مما افترضته عليه ، وما زال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحببته فكنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وان سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته) (١) .

---

(١) الجامع الصحيح للامام البخاري ١٢٦/١٤ (متن فتح الباري ــ مصطفى الحلبي ١٩٥٩م) .

وذلك هو التوكل البناء القائم على الثقة في عون الله ما استقام العبد على الطريق، وما استفرغ طاقته في الجد والعمل واعداد العدة لما عسى ان يطرأ على الموقف من احتمالات غير متوقعة ، وهو توكل درج عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته ، وربّى صحابته وأمته عليه فكانت امداد السماء تترى عليهم تنصرهم وتؤزر خطاهم .

ولما ترهلت هذه المعاني في نفوس الامة نتيجة الجهل بحياة محمد عليه السلام وبهديه وسمته ، ونتيجة طفرات الملذات المادية والنحل الهدمية التي أغرقت العالم الاسلامي بعد ان تسللت اليه في اثواب مختلفة ، ولما خفتت شعلة الايمان الوقاد في نفوس المسلمين وتحولت تعاليم الاسلام الى اشباح وشخوص باهتة يأنسون لها من بعيد حتى اذا ما اقتربت منهم وارادت ان تتحول الى واقع معاش يلزمهم العمل بها تبرموا واشاحوا عنها متعللين بأكثر من علة تترجم كلها ضعف ارادة المسلمين وبعدهم المخيف عن التصور الصحيح للاسلام .

وانما ارتطم العالم الاسلامي في بؤرة هذا الضياع في غياب التربية الاسلامية والجهل بعناصرها وخصائصها واهدافها .

عناصر التربية الإسلامية

١ ـ تقوم التربية الاسلامية على الايمان بالله وملائكته الى آخر ما جاء في حديث ابي هريرة رضي الله عنه من ان (النبي صلى الله عليه وسلم كان بارزا يوما للناس ، فأتاه جبريل فقال : ما الايمان ؟ قال : الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث)[1] .

فلا يتصور قيام تربية اسلامية دون هذا الجانب من الايمان الذي يجعل المسلم يقيم كل تصرفاته على هذه العقيدة ، ولا يأتي عملا مهما كان مبعثه ودوافعه الا بعد ان يرى حكم الله فيه لأنه مكلف ومحاسب على جميع اعماله ، ومراقب من الله الخبير العليم بما يخفي الناس وما يبدون .

ومتى انطبعت هذه العقيدة في نفس المسلم فانه سيتجنب كل ما من شأنه ان ينزلق به في هوة الحرام ، وسيعمل على الاستباق الى خيرات الفضيلة التي تسكب في ضميره السكينة وهدوء البال، وسينعكس هذا السلوك الراشد على افراد المجتمع مما يشيع فيه الامن والسلام .

---

(١) البخاري ١٢٥/١ .

وكل من راحة الضمير وطيب النفس والاحساس بالامن والسلام يعتبر أسمى ما يمكن ان تحققه التربية للانسان كفرد وكمجموعة .

٢ ــ بعد الايمان بالله يأتي حفظ القرآن الكريم الذي ما فرّط فيه مُنزله من شيء والمسلمون يحرصون على شيء حرصهم على تعليم ابنائهم القرآن وهم في عمر الزهور ويندر جدا ان نجد فحلا من فحول العلماء او علما من اعلام المسلمين البارزين لا نقرأ في ترجمة حياته انه حفظ القرآن وسنه دون العاشرة منذ الامام الشافعي والبخاري حتى محمد اقبال والشيخ الفاضل ابي عاشور .

ومن يحفظ القرآن ويتخرج على بعض معانيه ــ وهو في سن مبكرة ــ اذ من العسير ان يملكها وهو صغير السن فان جميع اعماله تنطبع بأخلاق القرآن ، وكيف لا ؟ وحتى سوره القصيرة التي يُعد حفظها في متناول الجميع تركز عقيدة التوحيد (قل هو الله أحد الله الصمد ...) [١] وتؤصل معاني الفضيلة والجلد والتقوى (والعصر ان الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا

(١) سورة الاخلاص .

بالصبر) [١] وتحارب الرذيلة وتبشعها وتنذر مقترفيها بأشد ألوان الويل والثبور (ويل لكل همزة لُمَزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله أخلده ..) [٢] .

ولهذا حينما قسم العلماء احكام العلوم التي يُعلّمها المعلم للصبيان جعلوا القرآن واعرابه وترتيله وكتابته من العلوم الواجبة، بينما الحساب والشعر والغريب والخطابة يُعتبر تعليمها لهم اختياريا لمن رغب فيها [٣] .

ويُعلّم الاطفال منذ نعومة الاظفار احترام كتاب الله وتعظيمه، فحتى الماء الذي يمحون به ألواحهم يحرصون على صيانته (قيل لأنس : كيف كان المؤدبون على عهد الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ؟ قال : كان المعلم له اجّانة [٤] ، وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماء طاهرا فيصبّونه فيها فيمحون به ألواحهم ، ثم يحفرون حفرة في الارض فيصبّون ذلك الماء فيها فينشف) [٥] .

ولما كان الاطفال قاصرين لا يملكون لأنفسهم نفعا

---

(١) سورة العصر .
(٢) سورة الهمزة .
(٣) التربية في الاسلام ٣١٣ .
(٤) اناء يصب فيه الماء لمحو الالواح .
(٥) الرسالة المفضلة ٢٧٣ .

ولا ضرا ، فان الشرع أوجب على الآباء ان يعلموا ابناءهم القرآن متى كانوا قادرين على ذلك ، لأن تعليمهم أمر دينهم من الواجبات المتأكدة . وأولى ركائز الاسلام الصلاة التي لن تؤدى بدون حفظ فاتحة الكتاب وما تيسر من كتاب الله .

ويعتبر ابو الحسن القابسي الأب الذي يصد عن تعليم أهله وبنيه الدين جافا بخيلا كما يعد موقف هذا الصنف من الآباء مضرا بالأبناء وعليه (فلا يعذر الوالد الا اذا كان فقيرا ... واذا كان للولد مال فلا يدعه والده او وصيه .. ولا بد ان يدخله الكتاب ويؤجر له مؤدبا) (١) .

وبذلك تُحكم صلة الطفل بكتاب الله فينشأ على فضائله وخُلقه الذي يعد أسمى خلق عرفه الكون منذ الأزل .

٣ — وحينما نقول قرآن نقول تبعا لذلك سنّة لأن القرآن بدونها يبقى منغلقا على الفهم، فالسنّة هي الموضحة لمسلكه والمقيدة لمطلقه والمخصصة لعامه والمفصلة لمجمله والشارحة لغامضه . فضلا عن تفردها بالكثير من الآداب وحتى الاحكام الشرعية .

---

(١) التربية في الاسلام ٢٥٢ .

فهذا احد التابعين يسأل الصحابي عمران بن حصين (يا أبا نجيد انكم لتحدثوننا بأحاديث ما نجد لها أصلا في القرآن ، فغضب عمران وقال للرجل : أوجدتم في كل أربعين درهما درهم ومن كل كذا وكذا شاة شاة .. أوجدتم هذا في القرآن ؟ قال : لا . قال : فعمن أخذتم هذا ؟ أخذتموه عنا وأخذناه عن النبي صلى الله عليه وسلم)[1] .

وقال رجل للتابعي الجليل مطرف بن عبدالله الشخير: (لا تحدثونا الا بالقرآن ! فقال له مطرف : والله ما نريد بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا ، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2] .

ولهذا حرص الرسول عليه السلام ان يتعلم المسلمون السنّة وان يتعلّموها ويبلّغوها لاخوانهم فقال : (نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلّغه)[3] .

---

(١) ابو داود : سنن ابي داود ١/٣٥٧ (مصطفى الحلبي ـ ط ١ ـ ١٣٧١هـ) جامع بيان العلم وفضله ٢/٢٣٤ (ط ١ ـ المكتبة التعليمية ١٣٨٨هـ) .
(٢) كتابة الكفاية في علم الرواية ١٢ (دار الكتب الحديثة ط ١ ـ بدون تاريخ) .
(٣) سنن ابي دواد ٢/٢٨٩ ، سنن ابن ماجه ١/٨٥ (مصطفى الحلبي ١٩٧٢م) ـ المحدث الفاضل ١٦٤ (ط ١ ـ دار الفكر بيروت ١٣٩١هـ) .

٤ ـ التكاليف التي جاء بها الاسلام : وهي كفيلة بأن تزكي النفس وتهذب الملكات وتربي الذوق ، وتندرج ضمن هذه التكاليف جملة الآداب وفنون الاخلاق التي سنها الاسلام (وعدها شرطا اساسيا للحياة الدينية الصالحة ، ذلك ان الاسلام جاء عقيدة واخلاقا مثلى)[١] .

٥ ـ تربية الاجسام والمحافظة على اللياقة البدنية الى جانب الصحة النفسية ، لذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف)[٢] . وكان عليه السلام يشجع على العدو وركوب الخيل والسباحة والمصارعة ، وكان يمثل الروح الرياضية العالية ، فقد جاءه يوما ركانة وهو أقوى وأصلب رجل عرفته جزيرة العرب في عصره وقال له : (يا ابن اخي بلغني عنك شيء فان صرعتني علمت أنك صادق فصارعه الرسول صلى الله عليه وسلم وصرعه)[٣] ثلاث مرات .

وكانت للصحابة هوايات رياضية جادة فعمر رضي

---

(١) التربية عند العرب ٨ (المكتبة الثقافية) .
(٢) الفتح الكبير للشيخ النبهاني ٣/٢٥٠ (مصطفى الحلبي بدون تاريخ) .
(٣) الاصابة ١/٥٢٠ (ط ١ ـ مطبعة السعادة ـ ١٣٢٨هـ) .

الله عنه كان فارسا لا يشق له غبار ، وعلي كان عدّاء لا يسابَق ، وطلحة والزبير كانا مصارعين لا يطاولان ، والمقداد بن الاسود كانت ضربات سيفه مثل القوة والقطع اللازب [1] .

وكان عمر رضي الله عنه يوصي المسلمين بأن يعلموا ابناءهم السباحة والرماية [2] الى جانب القرآن والسنّة وما تشع عنهما من آداب وفنون . لان التربية الاسلامية تعنى بتأديب النفس والروح والعقل والجسم دون ان تضحي بأي نوع منها على حساب الآخر .

وعناصر التربية هذه لن تبلغ درجة النجاعةوالفعالية الا اذا استطاعت ان تستغل طاقات الانسان كلها فلا تهدر منها جانبا واحدا مما يمكن ان يستفاد منه فيعمارة الارض وتحقيق الخلافة في الارض ، والا اذا استطاعت ان تؤصل التصور الاسلامي للوجود ككل، وان تحفظ نقاءهوتحول دون تسرب أمشاج من التصورات الدخيلة المنحدرة من عقائد الملل الضالة والنحل المنحرفة التي لا تتساوقوعقيدة الاسلام مهما تزيت بأشكال حضارية لها جاذبية وبريق قد يعشي العيون الكليلة القاصرة .

---

(١) القتال في الاسلام ١٣٩ .
(٢) التربية في الاسلام ٩ .

خصائص التربية الإسلامية

ونظرا الى تسرب التربية الاسلامية من هذه الموارد الطاهرة النابعة من القرآن والسنّة ونظرا الى وحدة التصور للوجود والى وحدة الاخلاقيات والقوانين التي تحكم أفراد الامة الاسلامية استطاعت هذه التربية ان (تطبع شخصية المسلم بطابع خاص يميزه) [1] مما سهل التعارف بين المسلمين منذ اللقاء الاول مهما نأت بهم الديار .

ولعل اهم خصيصة من خصائص التربية الاسلامية انها في معالجتها للانسان المسلم تعتبره كيانا واحدا تمتزج فيه الروح والعقل والجسم وتتحد في تعاون عجيب للنهوض بأعباء الحياة . وتقسيم الانسان الى تلك العناصر انما هو تقسيم اعتباري لا أثر له عند التطبيق فاليد (وحدها ـ كما يقول محمد قطب ـ تعمل وتتحرك وتمسك وتدع ولكنها لا تعمل مستقلة عن بقية الجسم) [2] . وينطبق

---

(١) التربية في الاسلام ١٧ .
(٢) منهج التربية الاسلامية ٢٦ .

هذا على جميـــع حركات وسكنات المسلم (فساعة العبادة ليست تهويمة روح خالصة وانما هي حركة جسم وحركة عقل وانطلاقة روح) [1] .

فضلا عن هذا فهي تتميز (بنزعتها المثالية في تقـــديم العلم والحث على طلبه وفي الاهتمـــام بالفضائل الخلقية ثم بمرونتها فيطرق التحصيل واصطباغها بروح الديمقراطية التي قضت على الفروق بين الشعوب والاجناس واعطـــاء الافراد فرصا متساوية في التحصيل لما تكتمل بعد في كثير من الامم الحديثة) [2] .

فكما ان تسوية الوالد بين أبنائه مطلوبة فان الدولة الاسلامية كالوالد مطالبـــة بالتسوية والعـــدل بين جميع المسلمين في العلـــم والتحصيل الذي هو حـــق للجميع بل فالدولـــة ملزمة بالانفاق على الاطفـــال غير القادرين كما يقول سحنون [3] ، كما ان العلماء مدعوون لتطبيق العدل والمساواة في التعليـــم ، فهذا الدارمي يعقد بابا في سننه يترجـــم له بقوله : (باب التسوية في العلم) [4] يورد فيه

---

(١) منهج التربية الاسلامية ٢٧ .
(٢) التربية عند العرب ١٠ .
(٣) التربية في الاسلام ١١ .
(٤) سنن الدارمي ١/٩٢ .

جملــة من الآثار تبين ان الشريف والوضيــع والابيض والاسود سواء في التحصيل ، ولذلك دعا سحنون المعلم الى جعل طلابه (بالسواء في التعليم : الشريف والوضيع والا كان خائنا) [1] .

فاذا قارنا عند التطبيق بين الاسس التي تقوم عليها التربية الحديثة في البــلاد الغربية من حريــة وديمقراطية وفردية ، وبين الواقع المعاش في البــلاد الغربيــة كبعض ولايات امريكا الشمالية والبلاد التي تحكمها الاقليات الغربية كجنوب افريقيا وروديسيا وفلسطين المحتلة .. ندرك ان تلك الاسس لا تتعدى كونها نظريات يتغنى بها ، حتى اذا وصلت مرحلة التطبيق تحولت الى تمييز عنصري مقيت ، أعلن الاسلام رفضه بشدة منذ اربعة عشر قرنا على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث أعلنها للناس جميعا : (النــاس سواسية كأسنان المشط ، ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى) [2] .

وتاريخ العلم والقضاء والقيادة العسكرية في الاسلام حافل ببروز الجم الغفير من الموالي والملونين ـــ ان صح

(١) آداب المعلمين لابي سحنون ٣١٥ .
(٢) نحوه مسند احمــد ٤١١/٥ (المعجــم المفهــرس لالفاظ الحديث ص ١٦٢ جزء ٥) .

التعبير ــ وصعودهم الى أسمى الدرجات : فعطاء بن أبي رباح كان أبوه نوبيا يعمل المكاتل ، وكانت أمه بركة زنجية وكان هو أسود مفلفلا ــ شديد جعودة الشعر ــ الا ان ديمقراطية التعليم في الاسلام وتكافؤ الفرص بين المسلمين أتاحت له ان يصبح قمة من قمم المعرفة والفضل في عصره حتى ان أبا حنيفة قال عنه : ما رأيت احدا افضل من عطاء [١] ، بل فان ابن عباس حبر الامة قال يوما لأهل مكة وقد اجتمعوا عليه يطلبون علمه : (يا أهل مكة تجتمعون علي وعندكم عطاء ؟) [٢] .

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/٩٢ (دار احياء التراث العربي ــ بيروت) ــ تهذيب التهذيب ٧/٢٢ (حيدرآباد ١٣٢٥هـ) .
(٢) تذكرة الحفاظ ١/٩٢ ــ ٩٣ .

أهداف التربية الإسلامية

ان خصائص التربية التي ألمعنا اليها تحدد اهدافها وتمتزج بها ، فاذا كانت احدى خصائصها التوفيق بين عناصر الكائن البشري ، فان ذلك يراد منه المزج بين طاقات الانسان كلها وربطها بعضها ببعض حتى يتحول هذا الكائن الى طاقة ايجابية عاملة منتجة، ولكنها الايجابية السوية التي لاتتنكب الطريق [1] .

ذلك ان في الانسان استعدادات مختلفة فيها الموجب وفيها السالب ، فاذا لم تتعهد بالتوجيه والتربية فقد تنمو بشكل متنافر متضادد او قد تتوقف عن النمو مما يسبب اضطرابات يختل بها توازن الانسان وتضعف فيه سماته البشرية الراقية .

وايجاد هذا التوازن بين الملكات والاستعدادات يهدف الى خلق الملاءمة بين الدنيا والآخرة عملا بقوله

---

(١) منهج التربية الاسلامية ٣٣ ــ ٣٤ .

تعالى : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) [1] . وهذا التوفيق بينهما هو أسمى ثمار العلم وفق المفهوم الاسلامي ، ذلك ان ارتباط الدنيا بالآخرة يحكم كل تصرفات الفرد المسلم ويوجه كل اهدافه واغراضه .

وحين نقول ذلك نؤكد على اعداد الفرد المسلم للحياة ، حتى ان ابن سينا يرى وجوب توجيه الطفل بعد ان يتعلم القرآن ويملك أصول اللغة الى احدى الصناعات التي يأنس في نفسه ميلا اليها بعد ان يدرك مدبر الصبي ان ليس كل صناعة تتفق مع مواهب الصبي وملكاته ، وعليه ، فيجب اختيار الصناعة التي تناسب طبعه وتتساوق مع قدراته الطبيعية [2] .

واعظم سلاح ينبغي ان يتزود به المسلم وهو يواجه معترك الحياة هو الاخلاق وقوة الارادة وصلابةالانضباط وسلامة الذوق وهي معان كرست لها التربية الاسلامية جانبا مهما من اهتماماتها ، وقد عاش الرسول صلى الله عليه وسلم سني الرسالة الثلاثة والعشرين وهو يدعمها بمدد من التوجيه والتقويم لا ينضب .

---

(١) سورة القصص ٧٧ .
(٢) التربية عند العرب ١٤ .

وقد استطاعت تربيته للمسلمين ان ترفع من اخلاقهم افرادا وجماعات وان يتحول المجتمع الاسلامي الى مجتمع اخلاق وذوق وانضباط : قال الرسول عليه السلام يوما لجمع من صحابته : (ما تعدون الصُّرعة فيكم ؟ قالوا : الذي لا يصرعه الرجال . قال : لا ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب)[1] .

وهذا الانضباط ينبغي ان يكون سلاح المسلم في كل الملمات والاحوال . فالنفس في ظل الاسلام لم تعد تتصرف على هواها وانما تحكمها الآداب والواجبات الشرعية ، فهذه ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يتوفى والدها فلا تحزن اكثر من ثلاثة ايام ولتؤكد عدم حزنها استعملت الطيب وهي تقول : (والله ما لي بالطيب من حاجة غير انني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحدّ على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا)[2] .

واحترام مشاعر الاخوة المسلمين من الاصول المرعية

---

(١) سنن ابي داود ٢/٥٤٩ .
(٢) وقد اتخذت زينب بنت جحش نفس الموقف حينما توفي اخوها ــ صحيح البخاري ١١/٤١١ ــ ٤١٢ .

والقواعد الاساسية في التربية ، فاذا اجتمع ثلاثة افراد في مجلس واحد فلا يجوز ان يتناجى اثنان دون الثالث ، لان ذلك يحزنه [1] كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم . واذا جلس اثنان لبعضهما فلا يحق لثالث ان يجلس بينهما الا باذنهما [2] .

كما نهى الرسول عليه السلام المسلمين ان يشوا ببعضهم فقال : (لا يُبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا ، فاني أحب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر) [3] .

فأين هذه التربية مما تفشى في المجتمعات الاسلامية وفي مختلف القطاعات من التعامل بالصلف والخديعة ، والسعي الى التسلط وجرح مشاعر الزملاء والرفقاء والسعي بين بعضهم البعض بالوشايات ، والانجراف وراء التظاهر والتفاخر بالباطل ضاربين بنهي الرسول عن ذلك الحائط وهو القائل : (المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور) [4] .

فالاسلام يصدر في تربيته للمسلمين عن محاربة

---

(١) ابو داود ٢/٥٦٢ ـ الترمذي ٥/١٢٨ .
(٢) ابو داود ٢/٥٦١ .
(٣) ابو داود ٢/٥٦٤ .
(٤) الكفاية ٥٠٩ .

الفواحش كلها ما بطن منها وما ظهر ، فهذا ضمام بن ثعلبة يفد على الرسول فيأمره عليه السلام بجملة من الآداب الاسلامية وبتجنب الفواحش واذا به يقول للنبي صلى الله عليه وسلم : فأما هذه الهناة (يعني الفواحش) فوالله ان كنا لنتنزه عنها في الجاهلية فلما انطلق راجعا ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فقه الرجل [١] .

فالفقه الحق هو التزام الخلق القويم وتجنب كل ما هو مشين ولذلك قال أكثم صيفي (ت ٩ هـ) حينما بلغه الاسلام : (ان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لو لم يكن دينا لكان في خلق الناس حسنا) [٢] .

---

(١) فتح الباري ١٦٢/١ .
(٢) فقه السنة ٩٨ (ط ٦ ــ دار الكتب الحديثة ١٩٦٥ م) .

من أين تبدأ التربية المحمدية

تبدأ التربية الاسلامية للطفل منذ ان يفتح عينيه في أحضان أبويه ، فالبيت مدرسة يهتم بها الاسلام أيما اهتمام . وقد أوجب على الآباء العناية بتربية أبنائهم وحضهم على ذلك فقال عليه السلام (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) [1] ، واعتبر ذلك الأدب وتلك التربية أعظم هدية يقدمها أب لولده .

وفي البيت يتعلم الطفل عن طريق المحاكاة والاقتداء بأبويه في صلاتهما وصيامهما وعفافهما واستبرائهما لدينهما ، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الوالدين بدفع ابنهما الى الصلاة منذ نعومة الأظفار فقال : (مروا أولادكم بالصلاة لسبع وأضربوهم عليها لعشر) [2] . واعتبر تلك التربية اعظم هدية يقدمها أب لولده فقال : (ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن) [3] .

---

(١) ابن ماجه ١٢١١/٢ .
(٢) المحدث الفاضل ١٨٦ (دار الفكر ط ١ ـ ١٣٩١هـ) .
(٣) سنن الترمذي ٣٣٧/٤ .

وتربية الولد فضّلها عليه السلام عن الصدقة فقال : (لأن يؤدب الرجل ولده خير من ان يتصدق بصاع)[1] .

والتربية في البيت لا تشمل الخلق الحسن فقط بل تتجاوزه الى حسن التصرف والى حسن البيان وطلاقة اللسان ولذلك كان للام دور فعال في تربية طفلها . قالت عائشة يوماً لابن أخيها القاسم بن محمد بن ابي بكر — وكانت أمه أم ولد — وكان لحّانة[2] — : (ما لك لا تتحدث كما يتحدث ابن أخي هذا ؟ اما اني قد علمت من أين أُتيت !. هذا أدبته أمه وأنت أدبتك أمك)[3] .

فالابوان في البيت راعيان وكل راع مسؤول عن رعيته ، وأوكد المسؤوليات تربية الابناء ذكورا كانوا او اناثا . عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من عال ثلاث بنات وأدبهن وزوّجهن وأحسن اليهن فله الجنة)[4] .

وبعد البيت يأتي دور الكتاب الذي يهتم اول ما يهتم به (تعليم الصبيان القرآن والقراءة والكتابة) ، ثم

---

(١) الترمذي ٤/٣٣٧ .
(٢) كثير اللحن والخطأ .
(٣) صحيح مسلم ١/٣٩٣ .
(٤) سنن ابي داود ٢/٦٣٠ .

قد تتسع مهمته لتشمل النحو والعربية والحساب فضلا عن الحديث والفقه •• ولذلك يمكن ان يعتبر الكتاب نـواة للتربية الاسلامية الصحيحة خارج البيت ما دام القائم عليه قارئا للقرآن فقيها [1] ، وما دام يطبع الطفل على العبادات ويزرع في نفسه كريم العـادات وفاضل السلوك ، وهي جميعا تنبع من الدين وتخدم أهدافه لأن الدين علم وعمل وعقيدة وعبادة •

وبعد الكُتّاب يجيء دور حلقات العلم والمكتبـات ودور الحكمة والمعاهد التي يتلقون فيها ألوانا من المعرفة العميقة المتخصصة وهي في كل أحوالها ممزوجة بالتربيـة والآداب الاسلامية ذلك ان الاسلام كل متكامل كما ألمعنا اعتقاد وعلم وعمل •

فضلا عن هذا نرى الارساليات التي درج على بعثها الخلفاء الى الآفاق لتعليم الناس الاسلام وآدابه وتكاليفه أسوة بالرسول الاعظـم صلى الله عليه وسلم الذي كان يبعث للقبائل والبلاد التي تدخـل في الاسلام بمن يُعلِّم الناس دينهم ويُعرِّفهم سبل الرشاد • فهذا عمـر يبعث بالقرّاء الى الامصار ويأمر الناس بمقابلتهم ايام الجمعـة

---

(١) التربية في الاسلام ١٠ •

في المسجد ، وهذا عمر بن عبد العزيز يبعث لمصر بيزيد بن حبيب [1] الذي كان مدرسا لامعا وكبير القضاة في الوقت نفسه ، ويبعث لافريقية بعشرة من خيرة القراء .

(١) التربية في الاسلام ١٦ ـ ١٧ .

كثيرا ما وصف العلماء المسلمون بالربانيين ، وقد فسر ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة ذلك بقوله : (قيل للعلماء ربانيون لانهم يربون العلم اي يقومون به ، وزيدت الالف والنون للمبالغة) [1] • في حين يعيد الاصمعي والاسماعيلي تلك النسبة الى الرب فهو رباني لانه يقصد ما أمره الله بقصده من العلم والعمل •

ويشترط ابن الاعرابي فيمن يلقب بالرباني (ان يكون عالما عاملا) • وينتهي ابن حجر الى حوصلة اختلاف العلماء حول تلك النسبة فيقول : (والحاصل انه اختُلف في هذه النسبة هل هي نسبة الى الرب او الى التربية ؟ والتربية على هذا للعلم) •

وقد فسر ابن عباس رضي الله عنه الرباني بأنه الحكيم الفقيه كما ورد ذلك في التعليق الذي أورده البخاري في جامعه الصحيح (وقال ابن عباس : كونوا

(١) فتح الباري ١/١٧١ •

ربانيين حكماء فقهاء علمـــاء) . ويضيف البخاري قوله : ويقـــال : (الرباني الذي يربي النـــاس بصغار العلم قبل كباره) . ويشرح ابن حجر صغار العلم بقوله : (ما وضح من مسائله ، وكبار العلم بقوله : ما دق منها ، ويضيف : وقيل يعلّمهم جزئياته قبل كلياته او فروعه قبل أصوله ، او مقدماته قبل مقاصده) [1] .

فنرى ان العلم والفقه والحلم والحكمـــة والمعرفـــة بكيفية التبليغ والعمل بما نعلم كلها مترابطـــة في الاسلام فيُطلق على من اجتمعت فيه تلك الصفـــات الرباني على ملحظ ابن الاعرابي الذي يؤكد على انه (لا يقـــال للعالم رباني حتى يكون عالما معلما عاملا) [2] . فالاسلام حفي بالعلم ، فكانت معجزته الخالدة كتابا ، هو القرآن الذي دعت اول آية نزلت فيه الى القراءة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) [3] وما يستتبع ذلك من التدبر والفهم ، وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على توجيـــه المسلمين نحو العلم ونحو القـــراءة والكتابة وقصة افتـــداء أسرى بدر بتعليم كل أسير قاريء لعشرة من المسلمين مشهورة متواترة ،

---

(١) صحيح البخاري ١/١٧١ .
(٢) فتح الباري ١/١٧١ .
(٣) سورة القلم ١ .

وهو بذلك كما يرى أحد الكتاب المحدثين يضع الاساس الحضاري للتربية الاسلامية القائمة على الخلق الكريم لانها تمنح من معين السنّة ومن القرآن الكريم •

وقد اصبحت للمسلمين في تلقيهم للعلم أصول مرعية تقوم على تعظيم العلم واكبار العلماء مع التحلي بالتواضع ورد العلم كله الى الله والايمان بأن العلم النافع المسدد هو الذي نتلقاه من رب العزة وبتوفيق منه تعالى • فهذا الخضر صاحب موسى عليهما السلام يقول لموسى حين سأله (هل أتبعك على ان تعلمني مما عُلمت رشدا ؟ قال : انك لن تستطيع معي صبرا ! يا موسى اني على علم من علم الله علّمنيه لا تعلمه انت ، وانت على علم علّمكه الله لا أعلمه • قال : ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) (١) • فالله وحده هو الذي وسع علمه كل شيء ، فليغر كل غرور ، وليكسف كل من يدعي العلم اللّدني او العلم المطلق • وليسع الطلاب الى العلم الرشيد وليتحلوا بالتواضع وبالصبر والأناة ، فللعلم صولة وثقل لا يقدر على حمله والانتفاع به الا من آتاه الله تلك الفضائل والخصال التربوية مما يُعد أساسيا للانتفاع بالعلم •

---

(١) البخاري ١/٢٤٠ .

وليس أدل على تعظيم الاسلام للعلم من تعبير الرسول عنه بأنه (فضلته صلى الله عليه وسلم ، ونصيب مما آتاه الله ، وناهيك بذلك) [1] كما يقول ابن المنير، تعليقا على حديث رسول الله (ص) (بينما أنا نائم أُتيت بقدح لبن فشربت حتى أني لأرى الري يخرج في أظافري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب . قالوا : فما أوّلته يا رسول الله ؟ قال : العلم) [2] . كما ان الامام البخاري [3] وكل اصحاب الكتب الصحيحة عقدوا في مصنفاتهم أبوابا ترجموا لها بما يفيد فضل العلم وفضل من تعلّمه وعلّمه وعمل به .

وليس أدل على فضل العلم من أمر الله لنبيه ان يستزيد منه فقال عز وجل : (قل ربّ زدني علما) [4] ، ولم يأمر الله نبيه بطلب الازدياد من شيء الا من العلم [5]، ومن آيات فضله انه يرفع صاحبه أدبيا وماديا فقال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) [6] .

---

(١) فتح الباري ١/١٩٠ .
(٢) البخاري ١/١٩٠ .
(٣) البخاري ١/١٨٥ .
(٤) طه ١١٤ .
(٥) فتح الباري ١/١٤٩ .
(٦) المجادلة ١١ .

ومن دلائل فضله كذلك انه يسبق العمل وقد ترجم البخاري لذلك بقوله : (باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى : فاعلم انه لا اله الا الله فبدأ بالعلم ، وان العلماء هم ورثة الانبياء) (١) •

وحين نقول العلم نريد به كل المعارف والعلوم التي تجلب النفع والتقدم للمسلمين وتدرأ عنهم الضعف والانخذال والتدلي الى حضيض الجهل والتخلف ، كل المعارف التي تفتق الذهن وتكسبه مرونة على الفهم الصحيح والتحليل السليم والاستنباط الرشيد على كل صعيد •

فالفهم الذي يعرفه ابن حجر بقوله : هو (فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن من قول او فعل) (٢) هو الهدف من التعلم ولذلك عقد البخاري لهذا المعنى بابا ترجم له بقوله : (باب الفهم في العلم) (٣) • وقد أورد جملة من الاحاديث الشريفة التي تثبت نباهة الصحابة رضي الله عنهم وذكاءهم وفطنتهم • وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحرك كوامنهم ، ويشحذ ذكاءهم وفطنتهم بما يلقيه عليهم من الاسئلة وبما يشركهم فيه من البحث والتدبر •

---

(١) البخاري ١/١٦٩ •
(٢) فتح الباري ١/١٧٥ •
(٣) البخاري ١/١٧٤ •

والاحاديث والآثار النبوية حافلة بكل ما يحرك السواكن ويثير الهمم للتفكر والاستنباط ، فكانت مناط اهتمام الدارسين والباحثين الذين وجدوا فيها مجالا فسيحا لتدبرهم . من ذلك مثلا : ان العلماء درسوا حديث ضمام بن ثعلبة الذي جاء على بعير وعقله في المسجد ثم أقبل على الرسول يسأله جملة من الاسئلة حول رسالته صلى الله عليه وسلم ، وهل هي من الله ؟ وحول الصلوات والصيام والصدقة (آلله أمرك ان تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟) وكان عليه السلام يجيبه : اللهم نعم . (فقال الرجل : آمنت بما جئت به) [1] ، فاستخلصوا استنباطات عديدة منها :

ـ ان ابن التين قال : في الحديث : (دليل على ان المرء لا يفرق صدقته بنفسه) [2] ويُعلّق عليه ابن حجر بقوله : وفيه نظر .

ـ اما القرطبي فاستدل بالحديث (على صحة ايمان المقلد للرسول صلى الله عليه وسلم ولو لم تظهر له معجزة وكذلك اشار اليه ابن الصلاح) .

ـ اما الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيّع

(١) البخاري ١/١٦٠ ـ ١٦١ .
(٢) فتح الباري ١/١٦١ .

فاستنبط من الحديث (أصل طلب عُلُو الاسناد لانه سمع ذلك من الرسول وآمن وصدّق ولكنه أراد ان يسمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة) .

ـ واستنبط منه ابن بطال (طهارة أبوال الابل وأوراثها ، اذ لا يؤمن ذلك منه (من بعير ضمام) مدة كونه في المسجد ، ولم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم) [1] ، الا ان ابن حجر لا يرتاح الى هذا الاستنتاج فيقول : (ودلالته غير واضحة وانما هي مجرد احتمال ، وتدفعه رواية أبي نعيم : أقبل على بعير له حتى أتى المسجد فأناخه ثم عقله ، فدخل المسجد ، فهذا السياق يدل على انه ما دخل به المسجد) ويضيف وأصرح منه رواية ابن عباس عند احمد والحاكم ولفظها : (فأناخ بعيره على باب المسجد فعقله ثم دخل ، فعلى هذا في رواية أنس مجاز الحذف. والتقدير : فأناخه في ساحة المسجد او نحو ذلك).

ـ كما درسوا حديث الأنفار الثلاثة الذين جاؤوا الى احد مجالس النبي صلى الله عليه وسلم ، واستنبطوا منه جملة من الآداب : (عن ابي واقد الليثي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس

---

(١) فتح الباري ١/١٥٩ .

معه اذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان الى رسول الله وذهب واحد . قال : فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم [وسلما] ، فأما احدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، واما الآخر فجلس خلفهم ، واما الثالث فأدبر ذاهبا . فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة :

ـ اما احدهم ، فأوى الى الله فآواه الله اليه .

ـ واما الآخر فاستحيا ، فاستحيا الله منه .

ـ واما الآخر فأعرض ، فأعرض الله عنه) [1] .

ومما استنتجوه من هذا الحديث :

١ ـ ان الداخل يبدأ بالسلام .

٢ ـ وان القائم يسلم على القاعد (ولم يذكر الراوي رد السلام عليهما اكتفاء بشهرته) .

٣ ـ وان من سبق الى موضع كان أحق به .

٤ ـ استحباب الادب في مجالس العلم وفضل سد خلل الحلقة .

٥ ـ جواز التخطي لسد الخلل ما لم يؤذ ، فان خشي استحب الجلوس حيث ينتهي كما فعل القادم الثاني على حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) البخاري ١/١٦٦ .

٦ ـ الثنـاء على من زاحـم في طلب الخير [١] .

فالعلم عند المسلمين ممتزج بالادب والاخلاق وفنون التربية التي تؤهل المعلـم لكي يكون قادرا على معاشرة الناس ومعايشتهم باحسان وعلى مواجهـة أعباء الحيـاة ومقارعة صعابها وحل معضلاتها بالحلول الناجعة الصادرة عن تفكير هادىء رصين قادر على الالمام بكل المعطيات ، وقادر على التحليل السليم حتى تكون احكامه قائمة عن تصور صحيح دقيق ، ولن يكون كذلك الا متى استعـد بالتزود بالعلم وشحذ الملكات وصقل المواهب التي ركّبها الله في البشر .

---

(١) فتح الباري ١/١٦٦ .

حض الإسلام على العلم

الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تحض المسلمين على طلب العلم والسعي لتحصيله اكثر من ان تحصى حتى ان الاسلام يكاد يكون مرادفا للعلم ، ما دام العلم هو العمود الفقري لصلاح معاش الناس ومعادهم :

فبالعلم يصلح الدين ويحفظ العقل ويصان النسب وتحيا النفس ، ويزكو المال .

ومتى تفشى الجهل اختلت الحياة كلها ، وهيمنت شريعة الغاب وبطلت الحدود التي تحفظ على الناس أمنهم وسلامتهم ، فينتشر الخراب ، ولذلك جعل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ارتفاع العلم علامة من علامات قرب قيام الساعة فقال عليه السلام : (ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم) [1] .

وقد قدم الاسلام العلم على كل عمل فلم يعتبر عملا ايا كان صحيحا ، الا متى كان قائما على العلم الصحيح .

---

(١) البخاري : ١٨٨/١ .

ولذلك عقد الامام البخاري في كتاب العلم بابا ترجم له بما يفيد ان العلم قبل القول والعمل (١) • ويشرح ابن المنير مراد البخاري بهذه الترجمة فيقول : (أراد به ان العلم شرط في صحة القول والعمل به ، فلا يعتبران الا به فهو متقدم عليهما) (٢) •

ونظرا لفضل العلم فقد جعله الرسول عليه السلام احد سببي الغبط (٣) فقال : (لا حسد (٤) الا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها) (٥) •

واذا كان المال تساق له القوافل وتجند له السواعد وترصد له الطاقات المختلفة لجلبه من الاصقاع البعيدة فان الرحلة في طلب العلم من الامصار الكبيرة صارت من التقاليد الاصيلة في الاسلام حتى اننا لا نكاد نعثر على كتاب من كتب السنّة وعلومها يخلو من فصل يتحدث عن الرحلة في طلب العلم ، بل فقد نجد من الفصول ما يتناول

---

(١) البخاري ١/١٦٩ .
(٢) فتح الباري ١/١٦٩ .
(٣) الغبط هو ان يشتهي المرء ان يكون لديه مثل ما لغيره من نعمةدون ان تزول عنه (النهاية لابن الاثير ٣/٣٣٩).
(٤) المراد بالحسد هنا هو الغبطة .
(٥) البخاري ١/١٧٦ ـ ١٧٧ .

الرحلة في طلب المسألة الواحـــدة ، وقد ترجم البخاري في صحيحه لمثل هذا المعنى بقولـــه : (باب الرحلة في المسألة النازلة) [١] .

وكان الصحابـــة رضي الله عنهم قد سنوا مثل هذه السنن الحميدة ، فكان الواحد منهم يتجشم أعظم المشاق في سبيل سماع الحديث الواحد ، فهذا جابر بن عبد الله يقول : (بلغني عن رجل حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتريت بعيرا ثم شددت رحلي ، فسرت اليه شهرا حتى قدمت الشام ، فاذا عبد الله بن أنيس فقلت للبواب : قل له : جابر على الباب ! فقال : ابن عبد الله ؟ قلت : نعم . فخرج فاعتنقني . فقلت : حديث بلغني عنك انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخشيت ان اموت قبل ان اسمعه) [٢] .

وهذا بسر بن عبيد الله يقـــول : (ان كنت لأركب الى المصر من الامصار في الحديث الواحد) [٣] .

---

(١) البخاري ١/١٩٤ .
(٢) فتح الباري ١/١٨٣ (واخرج الطبراني في مسنـــد الشاميين عن جابر ، قال : كان يبلغنـــي عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث في القصاص وكان صاحب الحديث بمصر ، فاشتريت بعيرا فسرت حتى وردت مصر فقصدت الى باب الرجل ...) فتح الباري ١/١٨٣ - ١٨٤ .
(٣) فتح الباري ١/٢٠٢ .

ودرج التابعون وتابعوهم باحسان على سنة الصحابة رضي الله عنهم ، فكان الواحد منهم يقطع المسافات الطويلة لتحصيل الحديث الواحد ، فهذا عامر الشعبي يقول لرجل من أهل خراسان بعد ان يجيبه عن مسألة سأله عنها : (اعطيناكها بغير شيء ، قد كان يُركب فيما دونها الى المدينة) [١] •

ولا غرو فاذا كان النصب في سبيل طلب الزيادة من العلم مرغوبا فيه ويؤجر عليه صاحبه ، فما بالك بطلب العلم ابتداء ، فان ما يلقاه الطالب من المشقة في سبيل تحصيله يصبح واجبا عليه ان يؤديه بصدر رحب وعزم لا يلين •

وقد توعد الاسلام ذوي المواهب واصحاب القدرة على تحصيل العلم الذين يهدرون تلك الطاقات الخيرة ويصرفونها فيما لا فائدة ولا نفع فيه ، توعّدهم بالاعراض عنهم واحباط أعمالهم • يقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن رجل أعرض عن العلم (أعرض فأعرض عنه الله) [٢]، والله انما ينزل سخطه بمن أعرض عن المعرفة بدون عذر شرعي على ملحظ ابن حجر [٣] •

---

(١) البخاري ١/٢٠٢ •
(٢) البخاري ١/١٦٦ •
(٣) فتح الباري ١/١٦٦ •

وهذا المعنى هو الذي جعل ربيعة بن ابي عبد الرحمن وهو المعروف بربيعة الرأي يقــول : ان من كان فيه فهم وقابلية للعلم لا ينبغي له ان يهمل نفسه فيترك الاشتغــال بالعلم [1] .

ونظرا الى ان تحصيل العلم واجب على المسلمين فان جعل التعليم حقا لجميــع المسلمين ذكورا واناثا ، وأناط بالدولة واجب القيام بأعبائه كما ذهب الى ذلك ابو الحسن القابسي منذ القرن الرابع للهجرة (والحجــة في ذلك ان الدولة مكلفة بتعليم جميع المواطنين القرآن قراءة وكتابة .. لضرورته في الصلاة المفروضة على جميع المسلمين) [2] .

والاسلام لا يريد لمتعلميــه ان يكونوا كأصناف او كسلاسل السيارات تتوقف الواحدة منها من حيث تقنياتها عند السنة التي صنعت فيهــا ، وانما يريدهــم متجددين ينمون باستمــرار ويرفعــون من كفاءاتهم على الــدوام فيتأثرون ويؤثرون في الحياة .

فالاسلام يؤمن بما يعرف عند أهل التربية بالرسالة فهذا عمر بن الخطــاب ينصح شبــاب الاسلام بقولــه : تفقهوا قبل ان تسودوا . فيضيف الامام البخاري الى هذه العبارة (وبعد ان تسودوا) ويعلل ابن حجــر سبب هذه

---

(١) فتح الباري ١/١٨٨ .
(٢) التربية في الاسلام ١١ .

الاضافة بقوله : (خشية ان يفهم احد من ذلك ان السيادة مانعة من التفقه ، وانما أراد عمر انها قد تكون سببا للمنع لان الرئيس قد يمنعه الكبر والاحتشام ان يجلس مجلس المتعلمين)[١] .

فالمنصب والمراتب العليا لا ينبغي ان تقف حجر عثرة في سبيل تحسين المستوى وكسب الخبرات والمعارف الجديدة . وها ان موسى عليه السلام لم تمنعه مرتبته العلية وهو النبي المرسل من السماء ان يركب البر والبحر ليلحق بالخضر ويأخذ عنه العلم[٢] .

فطاب العلم لا ينبغي ان تحول دونه السنون ، ولا المسافات البعيدة ولا المناصب العلية وانما ينبغي ان يبقى دائما مطلبا حيويا مرتبطا بحياة المسلم اليومية يبذل كل ما في وسعه لتنميته وتزكيته .

---

(١) فتح الباري ١/١٧٥ .
(٢) البخاري ١/١٧٧ .

المُرَبِّي

مسؤولية المربي :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيتـــه) [1] ، ولعـــل من اخطـــر المسؤوليات تلك التي تناط بعهدة المربي حيث يوكل اليه تكوين مجموعة من الاطفـــال او من الشبـــاب وتربيتهم وتخريجهم على الفضيلة والخير ، فهي مسؤولية يتحمـــل المربي تبعاتها امام الله ، ولهذا يتوجب عليه ان يرعى رضا ربه وذلك بأداء الواجب الذي هو أمانة ومسؤولية ثقيلة على أحسن وجه وأكمله .

الصفات الواجب توفرها في المربي :

وان يتمكن المربـــي من أداء تلك الامانـــة الا حين تتوفر فيه جملة من الصفات الكريمة والمواهب العاليةالتي تيسر عليه مهمته .

---

(١) فتح الباري ٢١١/١١ .

يقول اخوان الصفا : (اعلم ايها الاخ ان من سعادتك ان يتفق لك معلم ذكي جيد الطبع ، حسن الخلق ، صافي الذهن ، محب العلم ، طالب للحق ، غير متعصب لرأي من المذاهب)[1] .

ويرى ابن سينا ان معلم الصبيان ينبغي ان يكون :

(١ ــ عاقلا .
٢ ــ ذا دين .
٣ ــ بصيرا برياضة الاخلاق .
٤ ــ حاذقا بتخريج الصبيان .
٥ ــ وقورا .
٦ ــ رزينا .
٧ ــ غير كز ولا جامد .
٨ ــ حلوا .
٩ ــ لبيبا .
١٠ ــ ذا مروءة .
١١ ــ ونظافة .
١٢ ــ ونزاهة) .

ويشترط ابن جماعة في المربي (طلاقة الوجه وافشاء

---

(١) التربية عند العرب ٢٧ .

السلام واطعام الطعام وكظم الغيظ (١) وكف الاذى عن الناس واحتماله منهم والايثار وترك الاستئثار...) (٢).

وهذه الصفات والخصال الحميدة تعد بعض صفات الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل الكامل والمعلم الاول الذي كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه .

ومن الصفات التي اجتهد الرسول عليه السلام في تركيزها التواضع والصبر وهما من أبرز الصفات التي ينبغي على المربي ان يتحلى بها ، وقصص السنّة حافل بتلك الدروس . فهذا الخضر عليه السلام في قصته مع موسى عليه السلام كان مثال التواضع والصبر ، فحين سأله موسى عليه السلام (هل أتبعك على ان تعلمني مما عُلِّمت رشدا ؟ قال : انك لن تستطيع معي صبرا ، يا موسى اني على علم من علم الله علَّمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم علَّمكه الله لا أعلمه ، قال : ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) (٣) .

---

(١) قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه دعّاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من اي الحور العين شاء) سنن ابي داود ٢/٥٤٨ .
(٢) التربية عند العرب ٢٨ ــ ٢٩ .
(٣) البخاري ١/٢٣٠ .

فالخضر رد العلم كله لله ولم يدع لنفسه ولا لعبقريته منه شيئا، فعلم الله وسع كل شيء ، وهو معنى يجعله يطلب الرشاد والاستقامة اللتين تعوزان العديد ممن ينسبون الى العلم .

وقصة موسى والخضر عليهما السلام كرست لخدمة معنى التواضع وترك التكبر وادعاء العلم المطلق لان موسى عليه السلام (قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل : اي الناس أعلم فقال : أنا أعلم . فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه ، فأوحى الله اليه ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك [1] فكانت قصة لقائه بالخضر عليه السلام وابتداء رحلته العلمية المباركة الحافلة بمعاني الادب الجم وعلى رأسها التواضع وخفض الجناح للمعلم .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما زاد الله رجلا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله) [2] . وكانت عائشة رضي الله عنها مثل في التواضع في محنة الافك التي حاكها ضدها شرار المنافقين فأثر عنها أنها قالت : (والله ما كنت أظن ان الله ينزل في براءتي

---

(١) البخاري ٢٢٩/١ .
(٢) صحيح مسلم ٢٠٠١/٤ ، سنن الترمذي ٣٧٦/٤ ، الموطأ ٦١٧ .

وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من ان يتكلم الله فيّ بأمر يتلى ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤية يبرئني الله بها ، فأنزل الله تعالى : ان الذين جاؤوا بالافك ...) [1] . ولا غرو فقد تأدبت بأدب النبي صلى الله عليه وسلم وهو المربي الذي سن أجمل الآداب وأبهاها وأرأفها وأحرصها على تنمية شخصية صحابته مع تأديبهم أحسن الادب . فكان عليه السلام يجلس بين ظهراني أصحابه بدون كلفة [2] ، ولا يميز نفسه عنهم بشيء في حالات السلم والحرب والمنشط والمكره ، الا انه كان وقورا يحفظ مجالسه من اللغط والمزاح الثقيل ، وارتفاع الاصوات باللجاج . فكان يملأ قلوب مجالسيه هيبة ووقارا، وكان يسكن من عيونهم حدقها ومن قلوبهم شغافها فلا يذكرونه الا بالحب الكبير والاعجاب الذي ملك عليهم نفوسهم كلها ، فتفتحت لتتلقى بالحب والشغف الشديد توجيهه وهديه ، فكانوا على المهيع الرشيد المسدد لا يوصم أحد منهم ببدعة .

وكان عليه السلام لا يلتزم هذا الاعتدال والجمال في سلوكه فقط وهو الذي قال عنه عبد الله بن عمر : (لم

---

(١) فتح الباري ٢٤٦/١٧ .
(٢) البخاري ١٥٩/١ .

يكن فاحشا ولا متفحشا)[1] ، بل فهو أحسن الناس خلقا على ملحظ البراء بن عازب[2] وانما كان الى جانب ذلك حريصا على جمـال مظهره ، فكان نظيفا عطرا أنيقا[3] . ولا عجب فمظهر الرسول عليه السلام مصدق لباطنه وعمله مطابق لقوله وهو القـائل : (ان من خياركـم أحسنكم اخلاقا)[4] .

وكان عليه السلام ، يحض صحابتـه على التـزام السمت الصالح والاعتدال في كل شيء ، فكان يقول لهم : (ان الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة)[5] .

متى يحسن التعليم والتربية ؟ :

وقد تمر بالمعلـم او المربي أوقات يختل فيها مزاجه ويتعكر صفاؤه فعليه ان يتجنب تعليم تلاميذه فيها اذ قد تزيـغ به الطريق فيفسد بعد ان يُصلـح ، ولهذا نصح المربون المسلمون المعلـم او الشيخ بأن لا (يُدرِّس في

---

(١) البخاري ٣٨٥/٧ ومعنى الحـديث انه لم يكـن له الفحش خلقا ولا مكتسبا ، فتح الباري ٣٨٥/٧ .
(٢) البخاري ٣٨٠/٧ .
(٣) البخاري ٣٨١/٧ .
(٤) البخاري ٣٨٥/٧ .
(٥) ابو داود ٥٤٨/٢ .

وقت جوعه أو عطشه أو همه أو غضبه أو نعاسه أو قلقه ، ولا في حال برده المؤلم وحره المزعج ، فربما أجاب أو أفتى بغير الصواب ...) [1] .

آداب المربي :

وقد فرض المربون المسلمون على المعلم جملة من الآداب والاصول أوجبوا عليه اتباعها في منهجه التربوي التعليمي لأبناء المسلمين ، فهذا الامام سحنون حرّم على المعلم الانشغال عن تلاميذه ودعاه لصرف كل وقته وجهده لهم حتى انه حرّم عليه حضور صلاة الجنازة فضلا عن عيادة المرضى أثناء قيامه بواجبه التربوي [2] .

وهو معنى يقرره ابو الحسن القابسي ، كذلك حيث يحرّم على المربي ان يتخلف عن تلاميذه لاداء الشهادات فضلا عن حضور النكاحات وحينما يضطر للتشاغل عنهم فعليه ان يعوّضهم من وقت فراغه [3] .

ـ كما يلتقي سحنون والقابسي على عدم جواز استخدام المعلم للاطفال في حوائجه الخاصة [4] .

---

(١) التربية عند العرب ٤٥ .
(٢) آداب المعلمين لابن سحنون ٣١٢ .
(٣) التربية في الاسلام ٢٨١ .
(٤) التربية في الاسلام ٢٨٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥ .

على أنهما فطنا لقاعدة تربوية مهمة وهي تعلم الاطفال بعضهم من بعض فيقولان (لا بأس ان يجعلهم يملي بعضهم على بعض لان في ذالك منفعة لهم) (١) .

دور المعلم في زرع الفضائل في تلاميذه :

ثم ان المربي الحق انما هو ذاك (الذي يطبع الطفل على العبـادات وهو الذي يزرع في نفسه العادات وأدب السلوك) وهي جميعها في الاسلام مستمـدة من الديـن نفسه علما وعملا وعقيدة وعبادة (٢) .

وكان المؤدبون في عهـود السلف الاولى يخرّجون الاطفال على احترام القـرآن فحتى الماء الذي يمحون به ألواحهم لا يلقون به في المواضع المبتذلة وانما يحفرون له حفرة في الارض حيث يصبونه فيغيض فيها (٣) .

ولن يُكتب للمربي النجاح في مهمتـه العظيمة هذه الا متى كان سليم التصور الاسلامي صحيح العقيدة رفيع التربيـة أشرب أصولهـا وفروعها من القـرآن العزيز والسنة المطهرة .

---

(١) الرسالة المفصلة لاحـوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ٢٨٠ .
(٢) التربية في الاسلام ١٣ .
(٣) الرسالة المفصلة ٢٦٥ .

المعلم ينبغي ان يكون مسلما :

ولهذا نجد كبار أئمـــة الاسلام مثل مالك رضي الله عنه يحرصون على ابعاد اليهود والنصارى عن تعليم أبناء المسلمين القرآن وهو موقف متبصر على درجة من الحكمة وبُعد النظر اذ كيف يؤمَّن هؤلاء على كتـــاب المسلمين ؟ والحال ان الله كشف تحريفهم لكتابهم وتبديلهم لكلمات ربهم •

وان مثل هذه اليقظة وهذه الحساسية المرهفـــة هي التي حفظت الاسلام مما قد يتسرب اليه خفية من تيارات الالحاد وأمشاج الثقافات الاجنبيـــة التي تتجافى وصفاء الاسلام وتصوره الكامل المتكامل للوجود •

فهذا عمر وهو الذي أجرى اللـــه الحق على لسانه وحياه الله بحاسة اسلامية مرهفة • يمنع كعب الاحبار من تلاوة التوراة الا ان تكون التي نزلت على موسى عينها ، وذلك مخافة ان تحدث تلك الاسرائيليات وذلك التحريف الذي تعـــج به التـــوراة بعض الخـــدوش على تصوره ، فيتحول الى معول هدم من حيث يدري ولا يدري ، وكم من كوارث حدثت في العالم الاسلامي ، وكم من انحراف

انتهى بمآس مريرة نتيجة التأثير بتيارات اجنبية لها تصوراتها التي لا علاقة لها بالاسلام وشريعته •

ولهذا كان السلف يحرصون على ابعاد الكفرة عن مخالطة أبناء المسلمين حفظا لهم من أخطار التلوث الذهني، وهو أمر يخالف بكل وضوح الدعوات المعاصرة المشبوهة الداعية للتفتح غير الرشيد ، وقد وجدت دعواتهم تلك طريقها للوجود ابان ضعف المسلمين وغلبة أهل الكفر على ديارهم ، وقد قاد تلك الحملات أقوام فقدوا بدورهم صفاء التصور الاسلامي نتيجة تلقيهم ـ قبل نضجهم اسلاميا ـ عن اساتذة غير مسلمين وفي بيئة أحيانا غير اسلامية •

ونحن نعتبر ان المدارس والروضات التي يديرها ويشرف عليها رجال الكنيسة من آباء واخوات بيض ، مواطن خطرعلى أبنائنا ، كما نعتبر انخراط الجم الغفير من الشباب سيما أبناء الذوات في المدارس التابعة للادارة الفرنسية من الاخطار المهددة لتجانس عقيدة شبابنا وللغته وأصالته فنحن ولئن يمنعنا تسامحنا وحضارتنا الاسلامية من اغلاق تلك المدارس حتى لا نحرم ابناء الجاليات غير المسلمة من متابعة الدراسة بها فان واجبنا ازاء الحفاظ على سلامة ابنائنا وبلادنا يفرض علينا منع شبابنا من ارتياد تلك المدارس •

وتساوقا مع مبدأ الحفاظ على الروح الاسلامي عند المسلمين ذمّ السلف الصالح الاحتفال بأعياد غير المسلمين كالاحتفاء بأعياد اليهود والنصارى والمشركين وقبول الهدايا بمناسبتها ، وحضّوا المربي على ان يلتزم بهذه المعاني ويحرص على تنفيذها قبل غيره •

فأين هذا من انجراف كثير من اثرياء البلاد الاسلامية وعدد جم من نخبتها المتعلمة في تيار الاحتفال بالاعياد المسيحية حيث تقام السهرات الخمرية الراقصة الحمراء ، تهدر فيها الاعراض وتبذّر الاموال الطائلة والغريب حقا هو ان تكرس للدعاية لها ـ بشتى ألوان الاغراء ـ اجهزة الاعلام المختلفة في تقليد أعمى متخاذل ينم عن تصور اسلامي مضطرب ان لم يكن منعدما تماما •

الرحمة في معاملة التلاميذ :

وبقدر حرص المربين على غرس الروح الاسلامي في الناشئة والحفاظ على صفائه فانهم مدعوون الى معاملة تلاميذهم بالرحمة والشفقة التي تحقق نموهم السوي عملا بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم وأسوة بسلوكه الرحيم ازاء صحابته ومجتمعه كله • وقد كان عليه السلام يحض على الرحمة حتى انه جعل رحمة الله مقصورة على

الرحماء من عباده • فقال صلى الله عليه وسلم (انما يرحم الله من عباده الرحماء)[1] •

واذا كان الرفق محببا ومطلوبا في معاملة الناس بعضهم البعض ، حتى ان من يحرم الرفق واللين مهدد بالحرمان من كل خير ، مصداقا لقول الرسول : (من يحرم الرفق يحرم الخير كله)[2] • فان الرفق في التربية واجب اكيد لا تجوز الغفلة عنه • قال صلى الله عليه وسلم: (ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف) •

والهدي المحمدي يجعل من الرفق زينة وجمالا يحلي سلوك الناس كما يجعل من العنف والشدة في غير مواضعها قبحا يشين أعمالهم ويزيل ما فيها من رواء وبهاء • وها هو عليه السلام يدعو عائشة للرفق ، وهو نصح للامة كلها سيما اولئك الذين يقتعدون مقاعد التربية والارشاد، فيقول عليه السلام : (يا عائشة ارفقي فان الرفق لم يكن في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه)[3] •

وكان عليه السلام مثال الرفق واللطف مع الناس

---

(١) متفق عليه .
(٢) ابو داود ٢/٥٥٤ .
(٣) ابو داود ٢/٥٥٤ .

جميعاً من الخـادم حتى الامين ، فهذا أنس رضي الله عنه يقول : (والله لقد خدمتـه سبع سنين او تسع سنين ، ما علمت قال لشيء صنعت : لم فعلت كذا وكذا ، ولا لشيء تركت : هلاّ فعلت كذا وكذا) [1] . وكان عليـه السلام يطيّب خواطر صحابتـه ويعاملهم بلطف وود دون تفرقة بينهم او تمييز على اساس من الجـاه والثراء والجمال ، ونحـو ذلك مما يتفاضل به النـاس بعضهم عن بعض . وكان صلى الله عليه وسلم مثـال التواضع والود . فهذا احد الصحابة وكان ضريرا يدعو الرسول ليصلي في بيتـه فيلبي الرسول الدعوة ارضاء له [2] .

ولم يكـن هذا يتنـافى ـ اطلاقا ـ مع انزاله عليه السلام للناس منازلهم اللائقـة بهم وهو الداعي الى ذلك كما اخبرت عنه السيدة عائشة ام المؤمنين [3] .

وكان رفقه بطلاب العلم وسائلي المعرفة بالغا فكان يجيب عن اسئلتهم بصدر رحب ويعيـد الشرح لهم مرارا حتى يفهمـوا [4] ، كما كان يوصي بهم خيرا حتى سموا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ابو داود ٢/٥٤٧ .
(٢) صحيح البخاري ٢/٢٩٨ .
(٣) عن عائشـة ان رسـول الـه صلى الله عليه وسلم قال : (انزلوا الناس منازلهم) ـ ابو داود ٢/٥٦٠ .
(٤) انظر البخاري ١/٤٣١ ـ ٤٣٢ (المرأة التي سألت الرسول عن غسلها من المحيض ، فقـال لها : خذي فرحة ممسكة فتتطهري بها ... الحديث) .

وحتى الاعـراب رغم غلظ طباعهـم فانه كان يقابل جفاءهم باللين والرفق [1] • فمهما كانت طريقة أحدهم في السؤال مجافية للادب الجم فانه كان لا يشيح عنهم وانما يتلطف معهم ويبسط لهم جناح عفوه وحلمه •

كما كان عليه السلام يُقبل على سائليه ويتوجهاليهم بالجواب حتى يشعر السائل باهتمام الرسول [2] وعنايته به ، وبذلك اصبح اقبال المسؤول على السائل مستحبا [3] ومن الاصول المرعية في التربية الاسلامية •

التدرج في التعليم :

ومن الرفق بالتلاميذ والطلاب العمـل على تحبيب الدرس لهم وتجنب كل ما ينفرهم من الاقبـال عليه مع الميل الى الايسر ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا) [4] • وكان من خلقه وهو المربي الاعظم الميل الى الايسر ولهذا قالت عنه عائشة رضي الله عنها : (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس عنه) [5] •

---

(١) فتح الباري ١/١٥٠ •
(٢) فتح الباري ١/١٥٠ •
(٣) فتح الباري ١/٢٣٣ •
(٤) ابو داود ٢/٥٥٩ ، البخاري ١/١٧٢ •
(٥) ابو داود ٢/٥٥٠ •

عقاب المتعلم

من خلال بعض توجيهاته عليه السلام استخلص المربون المسلمون قواعد محددة في مسألة العقوبة بالنسبة للمتعلمين ، وأولى تلك القواعد هي ان العقوبة يجب ان تكون غير صادرة عن انتقام او حقد ولا يراد بها التشفي وانما ينبغي ان تهدف فقط الى مصلحة المتعلم ومساعدته على بذل الجهد للتحصيل والفهم •

وبما ان الغضب كثيرا ما يفقد صاحبه وعيه فيتصرف تصرفا أهوج قد يلطخ بالفحش (والله لا يحب الفاحش المتفحش) [١] • فان الرسول نهى عن الغضب وبشعه وجعله من الشيطان فقال : (ان الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار ، وانما تطفأ النار بالماء ، فاذا غضب أحدكم فليتوضأ) [٢] •

---

(١) ابو داود ٢/٥٥١ .
(٢) ابو داود ٢/٥٥٠ .

وكان رسول الله مثلا حسنا في التزام السمت الحسن وملك الاعصاب في أحرج المواقف وأخطرها ، فهذا أحد أفراد سرية من سراياه عليه السلام يقتل رجلا من أهل الكفر كان قد ادعى في لحظة الخوف انه مسلم ، ويبلغ هذا الحدث رسول الله فيخطب الناس ويقول في القاتل قولا شديدا فيقاطعه القاتل معتذرا له بأن المقتول لم يقل الشهادة الا تعوذا من القتل ، فيعرض عنه الرسول ويعيد القاتل مقاطعة الرسول ثلاثا ... فيقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ والمساءة تعرف في وجهه ـ ويقول له : ان الله أبى علي قبول عذر من قتل مؤمنا [1].

فلا سباب ولا شتم ولا عربدة يرشح منها الفحش والبذاءة ، وانما هو ابلاغ لحكم الله في حرامة ، وحمل للصحابة على التزام حدوده في جد جاء في حديث أنس : (لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فحّاشا ولا لعّانا ، كان يقول لاحدنا عند المعتبة : ما له تربت جبينه) [2] .

وحتى العبوس منهي عنه لدى المربين المسلمين[3] الا

---

(١) طبقات ابن سعد ٤٨/٧ ـ ٤٩ .
(٢) فتح الباري ٣٨٥/٧ .
(٣) الرسالة المفصلة ٢٦٩ .

عند الضرورة اذ (قد يكون هذا العبوس وتكلف الغضب أدعى للقبول منه ، وليس ذلك لازما في حق أحد بل يختلف باختلاف المتعلمين [1] .

اما الضرب فانه لا يلجأ اليه الا بسبب ذنب بيّن[2] وبعد ان تفشل كل المحاولات لردع المتعلم . وبذلك يكون في خاتمة المطاف بعد رحلة تبدأ :

١ ـ بالنصح والارشاد .
٢ ـ ثم التأنيب على انفراد .
٣ ـ ثم التقريع على رؤوس الاشهاد .
٤ ـ ثم الضرب آخر الامر اذا لم تصلح هذه الاجراءات السابقة) [3] .

وهنا تجدر الاشارة الى انه لا يجوز بحال ان يكون التجويع والتعطيش من بين وسائل العقاب [4] .

وقد وضع العلماء للضرب شروطا وحدودا لا يجوز تجاوزها :

١ ـ من ذلك ان المعلم ينبغي ان يمارس بنفسه عملية التأديب [5] .

---

(١) فتح الباري ١/١٩٧ .
(٢) الرسالة المفصلة ٢٣٤ .
(٣) التربية في الاسلام ١٤ .
(٤) آداب المعلمين ٣١٣ .
(٥) آداب المعلمين ٣١٢ .

٢ ــ وان لا يزيد في ضربه على ثلاثة أسواط ، ومتى أراد الزيادة فلا يتجاوز العشرة الا باذن من ولي الصبي كما يذهب الى ذلك ابو الحسن القابسي (١) مستشهداً على رأيه هذا بما رواه مالك رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال : (لا يضرب أحدكم اكثر من عشرة أسواط الا في حد) (٢) وقد انذر عليه السلام بشدة اولئك الذين يتجاوزون هذا الحد فقال : (أدب الصبي ثلاث درر ، فما زاد عليه قوصص به يوم القيامة ، وأدب المسلم [الشاب والكهل] في غير الحد عشر الى خمس عشرة ، فما زاد عنه الى العشرين يُضرب به يوم القيامة) .

٣ ــ وهذا الضرب ينبغي ان يكون في موضع مأمون فيتجنب ضرب الرأس والوجه حفاظا على سلامة المخ والعين وحفظا لكل المواقع الحساسة ، ولهذا يحبذون عند الضرورة ان يكون الضرب على الارجل فهو (آمن وأحمل للالام في سلامة) (٣) .

فالعنف والعسف لا محل له في التربية الاسلامية لان

---

(١) الرسالة المفصلة ٢٧١ .
(٢) آداب المعلمين ٣١٠ .
(٣) الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين ٢٧١ .

عواقبه خطيرة لا تحتمل ، فهو يرسب في النفس عقدا تقعد بصاحبها عن أداء الحد الادنى من الواجب فضلا عن طلب المعالي والفضائل . بل فقد تحوله الى عنصر معكر لصفاء مجتمعه ومعوق لجهوده في التنمية واقرار الامن . وهذا ابن خلدون قد وفق الى تصوير تلك السلبيات الهدامة الخطرة الناشئة عن سياسة القهر في التربية فيقول : (ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين .. سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه ، وعلّمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقا، وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن ، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه او منزله ، وصار عيالا على غيره في ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها فارتكس وعاد في اسفل السافلين [1] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١٠٤٢ ــ ١٠٤٣ .
وهذا المعنى اوجز تصويره احمد شوقي في البيت التالي:
واذا المعلم ساء لحظ بصيرة جاءت على يده البصائر حولا

مِنْ أُصُولِ التربيَة في السُّنة

لقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مراحل تعليمه للأمة على ايجاد الشخصية المسلمة المؤمنة العالية الهمة العاملة بشريعة الله المحققة للغايات العليا من وجودها على وجه الارض، فطهر نفوس صحابته من شوائب الشرك وأدران أخلاقه الظالمة الباغية ، وخرّجهم على الطهر والفضيلة والتعلق بالحق والاستماتة في طلبه وتحقيقه ، فنمّى ملكاتهم وساعدهم على ابراز مواهبهم المبدعة فكانوا قادة الشعوب ومحققي آمالها في العدل والمساواة وتوفير الامن .

العدل :

وكانت تربيته لهم عليه السلام تقوم على أرضية من المساواة تبعث في نفوسهم جميعا الطمأنينة والثقة . وقد حرص صلى الله عليه وسلم على ان تكون هذه المساواة قاعدة لكل المربين والمؤدبين في ممارستهم لمهنتهم الشريفة.

روى القابسي عن أنس بن مالك انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الامة فلم يُعلِّمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم ، وغنيهم مع فقيرهم حُشِر يوم القيامة مع الخائنين)[1] .

فالعدل على ملحظ القابسي ينبغي ان يتحقق بين الطلاب حتى وان تفاضلوا في الجُعل[2] ، والمعلم الذي لا يحقق العدل والمساواة بينهم الشريف منهم والوضيع يكون خائنا للامانة كما يؤكد ذلك سحنون[3] .

مراعاة المخاطبين :

لئن كانت مراعاة مستوى المخاطبين الذهني والاخلاقي واتجاهاتهم السياسية والاعتقادية ونحوها ، من الدعائم الاساسية لنجاح مخاطبهم في أداء مهمته فان هذه المراعاة تكون أوكد بالنسبة للتربية والتعليم .

وسلك الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل قريش أسوة حسنة في هذا الباب . فقد كان عليه السلام ينوي احداث بعض التغيير في بناء الكعبة الا انه عدل عن ذلك

---

(١) آداب المعلمين ٣٠٩ .
(٢) الرسالة المفصلة ٢٧١ .
(٣) آداب المعلمين ٣١٥ .

(لأن قريشا كانت تعظّم أمر الكعبة جدا فخشي صلى الله عليه وسلم ان يظنوا لأجل قربهم بالاسلام انه غيّر بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك)[1] ، وقد سارر عليه السلام بهذا الامر السيدة عائشة قائلا : (يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم .. بكفر ، لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين ، بابا يدخل الناس وبابا يخرجون) ، وترجم الإمام البخاري لهذا المعنى بقوله : (باب ترك بعض الاختيار مخافة ان يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه)[2] .

وقد تبلغ هذه المراعاة حدا يصبح معه السكوت عن انكار منكر ما أمرا ضروريا طالما يحفظ السامعين او الناس من الوقوع في أمر أشد نكرا واذا كان الصمت عن المنكر أكيدا فآكد منه تجنب اثارة اية شبهة[3] حتى لا تحدث بلبلة في النفوس والاذهان .

واذا أثيرت شبهة رغم احتياطات المربي فيتوجب الجواب عنها ، وازالة ما عسى ان تحدثه من غيوم في أذهان السامعين او تنفثه من ضباب حول صفاء عقيدتهم .

---

(١) فتح الباري ١/٢٣٥ .
(٢) البخاري ١/٢٣٥ .
(٣) التربية عند العرب ٤٦ .

التـــدرج :

والى جانب واجب المربي تجنيب طلابه المزالق والوقوع في حبائل الشبهات وضلالاتها تجد رجال التربية الاسلامية ينيطون به واجبا آخر هو تحبيب العلم لهم باتباع التدرج في تعليمهم وتربيتهم (لان الشيء اذا كان في ابتدائه سهلا حبب الى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط ، وكانت عاقبتــه غالبا الازدياد بخلاف ضده)[1] • وقد صور ابن خلدون في مقدمته هذا المعنى أفضل تصوير حين دعا الى التـــدرج في تلقين العلوم للمتعلمين فقال : (اعلم ان تلقين العلـــوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا) وهذا التدرج يمر بثلاث مراحـــل : تبـــدأ الاولى بعرض أصول الفن المراد تعليمه وتشرح له باجمال مراعيا في ذلك قوة عقل طالب العلم واستعداده لتقبـــل تلك المعارف • ثم ينتقل المربي في المرحلة الثانية من الاجمال في الشرح الى البسط والتوسع ويصل في النهايـــة اي في المرحلة الثالثة الى عرض دقائق ذلك العلم وبيان ما اعتورته من خلافات وما تفرعت عنه من مسائل وبذلك (تجود ملكته) ، فيفتح له المربي مبهمـــات ذلك الفـــن ويطـــرق معه كل أسراره

---

(١) فتح الباري ١/١٧٣ •

(فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته)[1] .

ذلك ان الطالب حينما يواجه منذ البداية بتلك المنغلقات (وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له ، كلّ ذهنه عنها ، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه ، فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه ، وانما أتى ذلك من سوء التعليم)[2] .

تجنب التطويل :

وحفظا للذاكرة من الكلل وحفاظا على قدرة الفكر على الاستيعاب دعا ابن خلدون الى تجنب التطويل (لانه ذريعة الى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض، فيعسر حصول الملكة بتفريغها)[3] .

التكرار :

وفي الوقت نفسه دعا الى التكرار (لان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكراره)[4] .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يكرر المسائل

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١٠٣٠ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ١٠٣١ .
(٣) و (٤) مقدمة ابن خلدون ١٠٣٢ .

مرارا لصحابته حتى يفهموا فهذه امرأة تسأله عن غُسلِها من المحيض فيبين لها ذلك بالتعريض للحرج الذي يسببه الوضوح في مثل هذه الحالة ، ولا تفهم المرأة فيعيد لها ، الا انها مع ذلك لم تفهم الامر الذي جعل عائشة تجتذبها اليها وتشرح لها قائلة : (تتبعي بها أثر الدم) [١] .

وقد يكرر عليه السلام المسألة ثلاث مرات تمكينا لسامعيه من فهمها واستيعابها . جاء عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم (كان اذا سلّم سلّم ثلاثا واذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا) [٢] وقال يوما منذرا اولئك الذين لا يحسنون وضوءهم (ويل للاعقاب من النار مرتين او ثلاثا) [٣] .

ونظرا لكون التكرار صار منهجا متبعا لدى الرسول في تعليمه لصحابته ، فان البخاري عقد بابا كرّسه لتأكيد هذا المعنى ترجم له بقوله : (باب : من أعاد الحديث ثلاثا ليُفهم) [٤] .

وهنا يلاحظ ابن حجر ان (الثلاث ليست شرطا بل

---

(١) البخاري ٤٣٢/١ .
(٢) البخاري ١٩٨/١ ـ ١٩٩ نحوه ابو داود ٢٨٧/٢ .
(٣) البخاري ١٥٢/١ .
(٤) البخاري ١٩٩/١ .

المراد التفهيم ، فاذا حصل بدونها أجزأ) [1] ، كما شرح ابن المنير مراد البخاري من ترجمته فقال : (نبّه البخاري بهذه الترجمة على الرد على من كره اعادة الحديث ، وأنكر على الطالب الاستعادة ، وعدّه من البلادة) واضاف : (والحق ان هذا يختلف باختلاف القرائح ، فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرة [واحدة] اذا استعاد ، ولا عذر للمفيد اذا لم يعد) [2] .

مراجعة الطالب :

والى جانب التكرار تحسن مراجعة الطالب واختبار مدى حفظه واستيعابه حتى ان سحنونا يوجب على المربي تفقد طلبته بالتعليم والعرض [3] ، كما عليه ان يمكنهم من مراجعته . وهي معان مستفادة من منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم . فهذه عائشة أم المؤمنين كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه من ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما : من حوسب عذّب . فقالت عائشة : أوليس يقول

(١) فتح الباري ١/٢٠٠ .
(٢) فتح الباري ١/١٩٩ .
(٣) الرسالة المفصلة ٢٧١ .

الله تعالى : (فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟) (١) .

فقال النبي : انما ذلك العرض [اي عرض الناس على الميزان] . ولكن من نوقش الحساب يهلك (٢) [اي ان تحرير الحساب يفضي الى استحقاق العذاب لان حسنات العبد موقوفة على القبول ، وان لم تقع الرحمة المقتضية للقبول لا يحصل النجاء] (٣) .

العناية بأسئلة الطلاب :

وعلى المربي (العناية بجواب سؤال السائل حتى وان لم يكن السؤال متعينا ولا الجواب) (٤) . واذا لم تصدر عن الطلبة أسئلة يمكن ان يستغلها المربي ليفتح نافذة يوسع بوساطتها مداركهم ومعارفهم ، فللمربي ان يطرح عليهم بعض الاسئلة التي توقظ هممهم وتدعوهم للتفكير وتقليب النظر ، كما له ان يطرح عليهم أسئلة لاختبار قدرتهم على الفهم والتحليل في نطاق ما هو مفيد حتى اذا ما عجزوا عن الجواب تولى هو افادتهم به .

وقد كان الرسول عليه السلام يختبر ما عند صحابته

---

(١) سورة الانشقاق ٨ .
(٢) البخاري ١/٢٠٧ .
(٣) انظر فتح الباري ١/٢٠٧ .
(٤) فتح الباري ١/١٥٠ .

من العلم ببعض الاسئلة مثل قوله لصحابته يوما (ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وانها مثل المسلم حدثوني ما هي ؟) [1] . ولم يتوصل الصحابة الى معرفتها ويقولون حدِّثنا ما هي يا رسول الله ؟ فيقول : هي النخلة .

جلب انتباه الطلاب :

وهنا نشير الى أهمية (ضرب الامثال والاشباه في التعليم لزيادة الافهام وتصوير المعاني لترسخ في الذهن) [2] .

بل وحتى الاشارة والحركة المعبرة تكون أوقع في نفس السامع ، ولهذا يحسن بالمربي استخدامها ، وهذا الرسول عليه السلام يفعل ذلك ، فقد قال يوما : (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، ثم شبَّك بين أصابعه) [3] .

وكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يجلب انتباه سامعيه ويستقطب عنايتهم باستخدام السؤال والتساؤل مثلما وقع في خطبته يوم النحر في حجة الوداع ، فقد

---

(١) البخاري ١/١٥٦ .
(٢) فتح الباري ١/١٥٦ .
(٣) البخاري ١٣/٥٨ .

سألهم عن يومهم وشهرهم وبلدهم ، وبيَّن لهم ان دماءهم وأموالهم وأعراضهم بينهم حرام كحرمة تلك الثلاثة [1]. ويعلق القرطبي على تلك التساؤلات بقوله : (سؤاله صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها ، كان لاستحضار فهومهم وليقبلوا عليه بكليتهم ، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه) [2] .

وعلى المربي ان يأتي كل ما من شأنه ان يساعده على النجاح في ابلاغ رسالته، وأن يمكّن الطلاب من الاستماع اليه والفهم عنه ، فعليه ان يجلس بارزا بحيث يراه الجميع وان يلتفت اليهم (وان يخص من يكلمه او يسأله او يبحث معه ... بمزيد التفات اليه واقبال عليه حتى وان كان صغيرا او وضيعا ، فان ترك ذلك من أفعال المتجبرين المتكبرين) [3] . وقد رأينا في هذا الباب تواضع الرسول وما كان يولي به صحابته واسئلتهم من العناية الفائقة .

ولن يكون لدرس المربي ولحديثه جدوى الا متى أنصت الجميع ، وقد كان الرسول لا يخطب الناس حتى يستنصتهم . ومتى تكلم يكون كلامه واضحا جليا ، عن

---

(1) البخاري ١/١٦٨ .
(2) فتح الباري ١/١٦٨ .
(3) التربية عند العرب ٤٦ .

جابر بن عبد الله قال : (كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل) [1] ، وقالت عائشة رضي الله عنها : (كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلا يفهمه كل من سمعه) [2] .

تعلم التلاميذ بعضهم من بعض :

ومما عرفت به تربيته لصحابته عليه السلام انه كان يُفسِح المجال لصحابته ليُعلِّم بعضهم بعضا ، وقد رأينا كيف ان السيدة عائشة تولت شرح كيفيــة الاغتسال من المحيض لاحــدى النساء في حضرة النبــي صلى الله عليه وسلم [3] مما جعل ابن حجر يستخلص من ذلك الحديث امكانية (الاخذ عن المفضول بحضرة الفاضل) [4] ، وهو معنى فطنت له التربية الحديثــة فأكدت عليه في اكثر من موضع ، كما أدرك المربون المسلمون أهمية تعلم الصبيان من بعضهم من القِدم ، فهذا سحنون يقول : (ولا بأس ان يجعلهــم [اي المربي] يُملــي بعضهــم علــى بعض

---

(١) و (٢) ابو داود ٢/٥٦٠ .
(٣) البخاري ١/٤٣١ ـ ٤٣٢ .
(٤) فتح الباري ١/٤٣٢ .

لأن في ذلك منفعة لهم وليتفقد املاءهم) [1] .

وكان عليه السلام لا يثقل على صحابته في الدرس وانما كان يُروّح عنهم ويتخولهم بالموعظة حتى لا يسأموا. عن ابن مسعود رضي الله عنه (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الايام كراهة السآمة علينا) [2] ويستنبط ابن حجر العسقلاني من الحديث (استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملال) [3] . وهو يرى ان المواظبة ولئن كانت مطلوبة فان للراحة كذلك أهميتها في شحذ العزائم ، واذكاء القرائح ، ويقترح ان تكون الراحة يوما بعد يوم او يوما في الاسبوع وذلك (باختلاف الاقوال والاشخاص) [4] .

ولعل هذا ما جعل عبد الله بن مسعود يُذكّر الناس في كل خميس ، فيقول له رجل : (يا أبا عبد الرحمن ! لوددت انك ذكرتنا كل يوم ، فيقول ابن مسعود : اما انه

---

(١) آداب المعلمين ٣١٤ .
(٢) البخاري ١٧٢/١ ، الترمذي ١٤٢/٥ .
(٣) فتح الباري ١٧٢/١ وانظر ترجمة البخاري : (باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا) البخاري ١٧١/١ .
(٤) فتح الباري ١٧٢/١ .

يمنعني من ذلك اني اكره ان أملّكم واني اتخولكم بالموعظة) [1] .

وكان السلف الصالح الى جانب اهتمامهم بالعطل ـ وقد تحدث عنها القابسي في كتابه «الرسالة المفصلة» كما حدد ايامها سحنون [2] ـ يتجنبون التطويل مخافة السآمة . فهذا الإمام مالك يفد على الزهري فيحدثه بأربعين حديثا ، ويستزيده الإمام مالك فيقول له الزهري: (حسبك ان كنت رويت هذه الاحاديث فأنت من الحفاظ) [3] .

---

(١) البخاري ١/١٧٣ .
(٢) الرسالة المفصلة ٢٧٤ ، آداب المعلمين ٣١٢ .
(٣) تاريخ المذاهب الاسلامية ٢/١٨١ .

آدابُ الطّالب

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم المثل الاعلى في رقة السلوك وحسن الادب ازاء معلمهم مما ينبغي انيكون مثالاً لعلاقة الطالب باستاذه في كل عصر . فهذا ابن عباس رضي الله عنه قصد بيت النبي صلى الله عليه وسلم وبات عنده ليرى صلاته ، وقام رضي الله عنه مع النبي يصلي فكان كلما جعله حذوه تأخر عنه ، فقال له : (ما بالك ؟ أجعلك حَذائي فتخلّفني ؟) فقال له : (أوينبغي لأحد ان يصلي حَذاءك وانت رسول الله ؟) [1] فدعا له ان يزيده الله فهما وعلما .

وكانوا رضي الله عنهم مثل المحبة والاخلاص والطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فهذا عمر بن الخطاب حين رأى رسول الله وقد غضب لكثرة ما سأله من الحضور عن آبائهم ، برك على ركبتيه بين يدي الرسول وهو يقول: (رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا) [2] .

---

(١) فتح الباري ١/١٧٩ .
(٢) البخاري ١/١٩٨ .

وحين نهاهم القرآن عن كثرة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم انتهوا (وكان يعجبهم ان يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله) [١] وهم يسمعون ، لأن أهل البادية كانوا أجرأ على السؤال سيما أولئك الذين لم يبلغهم النهي ٠

ومن دلائل أدبهم أنهم كانوا يتخيرون أسئلتهم لانهم يدركون ان العلم سؤال وجواب وان حسن السؤال نصف العلم [٢] ٠ وكان عليه السلام ينهي صحابته عن الاسئلة الباردة المتعسفة (عن زيد بن خالد الجهني ان النبي صلى الله عليه وسلم سأله رجل عن اللقطة ، فقال : اعرف وكاءها ، او قال : وعاءها وعفاصها ، ثم عرّفها سنة ثم استمتع بها فان جاء ربها فأدها اليه ، قال : فضالة الابل ؟ فغضب حتى احمرت وجنتاه ٠٠ فقال : ما لك وما لها ؟ معها سقاؤها وحِذاؤها ، ترد الماء وترعى الشجر ، فذرها حتى يلقاها ربها ٠٠٠) [٣] ٠

وكان التواضع يوشح حياتهم العلمية وقد رأينا قصة موسى والخضر وما فيها من دروس وعاها الصحابة

---

(١) فتح الباري ١٥٩/١ ٠
(٢) فتح الباري ١٥٠/١ ٠
(٣) البخاري ١٩٦/١ — ١٩٧ ٠

وتأدبوا بأدبها فكانوا يسلكون مسلك التواضع في كل شيء .

وقد ظهر أدب الصحابة على السلف الصالح ، فهذا مالك بن أنس رضي الله عنه كان على درجة عالية من الادب والذوق الرفيع مع استاذه نافع مولى ابن عمر فكان لا يداهمه وانما ينتظره الامد الطويل ، فاذا لقيه حياه ثم سكت ثم سأل ، ولا يطيل (حتى لا يمل من لجاجة الطلب) [1] . كما كان رضي الله عنه يتحيّن فراغ شيخه ابن شهاب الزهري فيقصده (ليكون التلقي في جو هادىء حيث لا يسمع صخبا) [2] .

ويقدم ابن جماعة جملة من النصائح للطالب المسلم تعد باقة من آداب السنّة النبوية ، فينصحه : (بأن يشاور المعلم فيما يقصده ، ويتحرى رضاه فيما يعتمده ، وان يعرف له حقه ولا ينسى له فضله ، وان يصبر على جفوة تصدر منه . وألا يدخل عليه في غير المجلس العام الا باستئذان ، وان يُصغي اليه اثناء الدرس ، ولا يلتفت من غير ضرورة ، ولا يضطرب لضجة يسمعها ، ولا يعبث بيديه ولا رجليه او غيرهما من اعضائه ولا يحكي ما يضحك منه ، او ما فيه بذاءة او يتضمن سوء مخاطبة او سوء ادب) [3] .

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية ٢/١٨٠ .
(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية ٢/١٨١ .
(٣) التربية عند العرب ٣٠ .

الإختلاط

ـ وهناك ظاهرة خطيرة تفشت في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي في جل البلاد الاسلامية وهي ظاهرة الاختلاط في فصول الدرس بين الذكور والاناث ، وهي ولئن تسنمت دعوى القضاء على العقد الجنسية وتبرئة الشباب مما يعانيه من الجوع والحرمان الجنسي نتيجة الحواجز التي كانت قائمة بين الجنسين وما نشأ عن تلك الحواجز من قصص فيه تهويل كثير ، فانها في حقيقتها مهدمة لأخلاق عاش عليها المسلمون عهودا طويلة وضمنت لمجتمعهم الطهر والاستقامة .

ـ وقدوة المسلمين في هذا المجال الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان لا يحرم النساء من المعرفة ولكنه كان (يجعل لهن يوما على حدة في العلم) (١) .

---

(١) البخاري ١/٢٠٦ .

ـ وقد أدرك رجال التربية المسلمون أهمية الفصل بين الجنسين ، فأكدوا عليه . فهذا الإمام سحنون يقول : (وأكره للمعلم ان يُعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لان ذلك فساد لهم) [١] . وهو رأي يدعمه القابسي بقوله : (ومن صلاحهم [اي طلبة العلم] ومن حسن النظر لهم ، ألا يخلط بين الذكران والاناث) [٢] .

والى جانب هذا دعا رجال التربية المسلمون الى الاحتراس من اختلاط الصبيان المتبايني الاسنان ببعضهم، كما دعوا الى حماية الصبيان من عدوان بعضهم على بعض سيما (اذا كان فيهم من يُخشى فساده ، يناهز الاحتلام او تكون له جرأة) .

---

(١) الرسالة المفصلة ٢٧١ ، آداب المعلمين ٣١٦ .
(٢) الرسالة المفصلة ٢٧١ .

أثر التربية النبوية

وللتربية النبوية نتائج واضحة في المجتمع الاسلامي فقد تمكنت من تكوين الرجال القادرين على تحمل المسؤولية وحفظ النظام وتوفير السلامة والامن للجميع .

ــ فقد قاومت المجون والميوعة والتخنث وهي أدواء تشكو منها اليوم بعض المجتمعات وتهدد أمنها وتوازنها وازدهارها . وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الى مقاومتها بشدة لا هوادة فيها فقال : (لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء) [١] .

ــ ورفعت من شأن المسلم وربته على الحفاظ على كرامته وشرفه ، وعلى الاعتزاز بالنفس حيث فضلته على بعض الملائكة احيانا . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (المؤمن اكرم على الله عز وجل من بعض ملائكته) [٢] .

---

(١) الترمذي ٥/١٠٥ ــ ١٠٦ .
(٢) ابن ماجه ٢/١٣٠٢ .

ـــوحببت اليه الحياء ـــ والحياء شعبة من الايمان ـــ كي يتجنب ما قد يخدش عزته وكبرياءه ، فدعته الى حفظ عورته • جاء في الحديث الصحيح : (احفظ عورتك الا من زوجتك او ما ملكت يمينك) [١] • فأين هذا مما نراه ونسمعه من هتك العـــورات سيما عنـــد الاستحمام بعد حصص التربية البدنية على مرأى ومسمع من المدرب او المربي ؟؟

ـــ اما المرأة فحفظـــا لشرفها وعرضها وابقـــاء على كرامتها من نهش العيون والالسنة حرّم عليها الاسلام ان تضع ثيابها في غير بيت زوجها ، وما من امرأة تفعـــل ذلك (الا هتكت الستر بينها وبين الله) [٢] •

ونشكو اليـــوم استهتـــار بعض النساء وتجاوزهن لأوامر الأب والزوج والعائلـــة ! ولا موجب للشكوى اذ ان ذلك الاستهتار والسبب نتيجـــة حتمية لهتكهن الستر بينهن وبين الله ، فقد أبرزن مفاتنهن في الشوارع وتسلبن من ثيابهن على الشواطىء ، وتحـــررن من كل القيـــم ، وجرين وراء التقليعات الجديدة مهما كانت منافية للاخلاق والقيـــم •

---

(١) الترمذي ٥/١١٠ •
(٢) الترمذي ٥/١١٤ •

ـ ودعت التربية الاسلامية الى الطهر باطنا وظاهرا والى النظام والانضباط وهي معان تكفلت كل العبادات متى أدبت على الوجه المطلوب بتحقيقها، ودعت الى التحلي بالاخلاق الفاضلة ووعدت المتمسكين بها مراتب عالية من الثواب والاجر • يقول الرسول عليه السلام : (ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) [1] •

ـ وقاومت التربية النبوية كل الدنايا وكل ما فيه خسة وحطة ، ودعت الى الترفع عن الكذب والزور والتظاهر والخداع والدس والغيبة • قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (يا رسول الله ! ما الغيبة ؟ قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت ان كان في أخي ما أقول ؟ قال : ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) [2] •

ـ وعلى العموم فكل ما فيه تحقيق لآدمية الانسان وتركيز لشرفه ، حرصت التربية الاسلامية على تنميته وصقله ، فخرّجت جيلا يرى الحياة عقيدة وجهادا لا عبثا وميوعة ، وانهزاما امام الشهوات الغلابة ، وهو جيل يحترم الشريعة ويطبقها بكل قوة ، يتعلق بالتوكل ويمقت التواكل والمتواكلين •

---

(١) ابو داود ٢/٥٥٢ .
(٢) ابو داود ٢/٥٦٧ .

وكان هذا الجيل يملك القدرة على تحقيق التوازن بين المادة والروح هذا التوازن الذي هو اكسير الحياة ، وسر نجاحها ، كما كان هذا الجيل يعمل بما يعلم وهو أسمى ما يصبو اليه منهج تربوي في الدنيا •

واذا أردنا لتربيتنا ان تعود لفحولتها فتنتج جيلا مسلما قادرا على مواجهة التحديات بأشكالها المختلفة ، فيه فتوة وعزة وطهر واستقامة ، علينا ان نعيد للقرآن والسنّة مكانتهما في حياتنا ، وان نعين ناشئتنا وشبابنا على ان يمارس الاسلام فيأخلاقهومعاملاته بتوفير المساجد في مدارسه ووضع المناهج التدريسية التي لا تتعارض في توقيتها ولا في مادتها مع الاسلام كفكرة وكعمل • ولا بد لتحقيق هذا من توفير المربين المسلمين عقيدة وسلوكا •

المراجع

- القرآن الكريم .
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ـ وضعه فؤاد عبد الباقي ـ القاهرة ١٣٦٤هـ.
- المعجم المفهوس لالفاظ الحديث النبوي ـ ونسك ليدن ـ ١٩٦٥م.

١ ـ آداب المعلمين ـ لابي سحنون (ابو عبدالله محمد بن سحنون) ، مطبوع في آخر كتاب التربية في الاسلام ـ دار المعارف ط ٢ ـ ١٩٧٥م.

٢ ـ الاصابة في تمييز الصحابة ـ لابي الفضل احمد بن حجر العسقلاني ط ١ ـ ١٣٢٨هـ. ـ مطبعة السعادة .

٣ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية ـ ابو زهرة ـ دار الفكر العربي .

٤ ـ تذكرة الحفاظ ـ للذهبي (دار احياء التراث العربي ـ بيروت) .

٥ ـ التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها ـ محمد فوزي الفتيل ـ المكتبة الثقافية عدد ١٥٧ ـ ماي ١٩٦٦م.

٦ ـ التربية في الاسلام ـ احمد فؤاد الاهوائي ـ ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٧٥م .

٧ ـ تهذيب التهذيب ـ لابن حجر العسقلاني ـ ط ١ ـ دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن ١٣٢٥هـ.

٨ ـ جامع بيان العلم وفضله ـ ابن عبد البر ـ ط ١ ـ الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٨هـ.
ـ الجامع الصحيح للبخاري ـ انظر صحيح البخاري .
ـ الجامع الصحيح لمسلم ـ انظر صحيح مسلم .
ـ الدارمي ـ انظر سنن الدارمي .
٩ ـ الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ـ لابي الحسن القابسي ـ مطبوع ضمن كتاب التربية في الاسلام (دار المعارف بمصر ط ٢)
١٠ ـ سنن ابي داود ـ (ط ١ ـ مصطفى الحلبي ـ ١٣٧١هـ) .
١١ ـ سنن الترمذي (ط ١ ـ مصطفى الحلبي ـ سنة ١٣٥٦هـ ـ ١٣٨٨هـ) .
١٢ ـ سنن الترمذي ـ (المدينة المنورة ١٣٨٦هـ) .
١٣ ـ سنن ابن ماجه ـ (عيسى الحلبي ١٩٧٢م) .
١٤ ـ صحيح البخاري ـ مطبوع على هامش فتح الباري.
١٥ ـ صحيح مسلم (ط ١ ـ عيسى الحلبي ١٣٧٤ هـ).
١٦ ـ الطبقات الكبرى ـ ابن سعد (دار صادر ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م) .
١٧ ـ فتح الباري ـ لابن حجر العسقلاني ـ مصطفى الحلبي ١٩٥٩م ـ ١٣٨٧هـ.
١٨ ـ الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير ـ يوسف النبهاني ـ (مصطفى الحلبي بدون تاريخ).
١٩ ـ فقه السيرة ـ محمد الغزالي ـ (دار الكتب الحديثة ـ ط ٢ ـ ١٩٦٥م) .
٢٠ ـ القاموس المحيط ـ الفيروز آبادي ـ (ط ٢ ـ مصطفى الحلبي ١٣٧١هـ) .
٢١ ـ القتال في الاسلام ـ احمد نار ـ (ط ٢ ـ جدة ١٩٦٩م) .
٢٢ ـ الكفاية في علم الرواية ـ الخطيب البغدادي ـ ط ١ ـ دار الكتب الحديثة .

٢٣ ـ المحدث الفاصل ـ ابن خلاد الزامهرمزي ـ دار الفكر ط ١ ـ بيروت ١٣٩١هـ.

٢٤ ـ مقدمة ابن خلدون ـ ط ٣ ـ بيروت .

٢٥ ـ منهج التربية الاسلامية ـ محمد قطب ـ (ط ٢ دار دمشق) .

٢٦ ـ الموطأ ـ مالك بن انس ـ كتاب الشعب .

٢٧ ـ النهاية في غريب الحديث ـ لابن الاثير ـ ط ١ ـ عيسى الحلبي ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

المحتوى

صفحة